

موسم الحصاد

مجمع المؤلفين موسم الحصاد

عنوان الكتاب: موسم الحصاد

المؤلف: مصطفى ضو

تصميم الغلاف: تقي الدين بن دردوخ

الماهر[®]
للطباعة و النشر و التوزيع

تعاونية الفلاح، العلة ولاية سطيف

البريد الإلكتروني: dar.elmaher@outlook.fr

الهاتف الثابت: 036.48.00.17

النقل : 0777.23.38.83

واتساب: 00213777233883

ISBN : 978-9931-762-35-5

D.L : 11-2019

مصطفى ضو

موسم الحصاد

الماهر للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2019

الإهداء

إلى رمز وجودي والدايا طيب الله ثراهما

وإلى أبنائي جهاد، إسماعيل عدنان، محمد بهاء الدين، نور اليقين

إلى أم جهاد وأم يقين

إلى رفيقي وصديقي المفضل محمد رمضان زلومة

إلى عشاق الحرف والكلمة الصادقة

أهدي مجموعتي القصصية الأولى

1- سيد الغابسة

كل شيء يراه أمامه مبعثرا، لا يمكن أن يرتبط حتى ولو أُعيد تنسيقه سيرجع إلى طبعه المارق، فهو ليس بالزجاج سيستحيل ثانية للظهور أو أي شيء آخر يُختلف عنه أن يكون له الكرة، فهو دائما هكذا تنسيقه صعب وبنائه ليس عدم في هذا الوجود، وعلى الرغم من هذا كله أحيانا نشاهده في بصيص أمل ونقطة ضوء في آخر النفق الممتد، فهو يلاحقه مع الأفق وإن طال واستمر فلا يعتبره سراب بل يمكن مشاهدته واقعا ومثيلا له رؤي العين، وهو ذلك ما يريده صاحبنا الذي التقيته ذات مساء من غير موعد سابق، بادلته التحية فرد بأحسن منها رغم اللقاء العابر وكنت على عجل من أمري، إلا أنه استدعاني على كوب شاي فخضعت للأمر الواقع فشدني حديثه ذو المعاني البليغة التي تنبع من معين صاف. فأحسست بالمرارة التي شربتها على مضمض منه والآهات والحرقة التي تتبعه بين جنباتي، كل كلمة يتفوه بها نطقا أو إشارة - فأحاديثه ذات شجون - لا يمكن أن

يعبر عليها عبر هذه الجليسة العابرة من شدة إعجابي بهذا اللقاء على قصره وددت منه إعادة لقاءات أخرى فكان صدره رحب كما هو معتاد عليه رغم جراحاته وآلامه فهو دوما لا يقطع الأمل، فودعته مسرعا لأنني تذكرت عملاً قد أخرته، فبادرني بابتسامة لا تفارقه والموعد الذي ينتظره، ذهب لحالي وأنجزت أعمالي. وكأنني لم أجري معه أية لقاء ولكن كنت دائما أشعر بإحساس غريب في داخلي تجذبني إليه يطالبني بالبقاء معه وأن لا أتركه وحيدا ليستفرد به حلما أو خيال، وكم كانت فرحته غامرة فلم يفوت فرصة حتى عبر الهاتف فقال لي، بعد التحية والسلام متى يكون الموعد، فترددت قليلا فقال عجل به إني لا أكاد أصبر أريد أن تأتي غدا فاعتذرت، فرفض فأبى ما كان مني إلا النزول عند رغبته، فحددنا موعدنا مساء الغد فشعرت وهو ينهي مكالمته مُستبشراً بهذا اللقاء الذي يعتبره مجلسا للنقاش وتبادل الآراء. وضعت هاتفني في جيبي وأخذت نفسا عميقا ثم زفرة قوية أثارت انتباه من حولي، قلت لهم: هكذا هي أحوال الناس، ودخلت في حديث آخر يتناول شؤون الحياة، لكن صدى حديثه بقي يرن في أذني إلى أن انتهى حديثنا المعتاد.

جانفي 2014

2- موسم الحصاد

الوقت مبكرٌ صباحاً، حين استعدَّ الجميع بما يراه مناسباً لهذا العمل الموسمي الذي لا يتكرر إلا مرة واحدة في السنة؛ بعضهم استنفر جيشاً من البشر ليتم على أحسن ما يرام، وبأقل التكاليف، وبأحسن صورة يتم. فجمع كل ما يملك من مال وأفكار وأنزل جيشه عساه أن يحصد هو الأول ويعود عليه بالإنتاج الوفير والربح الأكيد حسب ما يزعم، وهو يمني نفسه بتصدر المشهد وأن يذكر في المجالس وغيرها... بأعماله الجبارة التي قام بها ليعطي صفة "الحصّاد الماهر" أو "زعيم الحصادين" بل قل "رائد الموسم" أما سواه فيرى أنه صاحب الكعب العالي والمقام الرفيع والوصول إلى ذروة تشبه المستحيل عن لم نقل المعدوم في هذا الزمن المترامي... أما الآخر فقد استنفر العشيرة والأقارب للحصاد، فأحضر العُدَّة والعتاد من معدات تحضيرات إلى كل ما يحتاج إليه لأن هذا الموسم هو موعد مع أمر قد لا يتكرر في الأجل القريب فهو الأمل.... لقد شد رحاله إلى حيث ساحة الحصاد

في رحلة متعبة في طريقه اعترضته عقبات ومطبات كبيرة، ولكنه عزم على مقاومتها بشتى الوسائل والسبل والإصرار بأن يحصل على نتيجة مهما بلغت أتعابه وتضحياته. فحدث نفسه سراً يجب أن نهزم الجميع ولا مقام لهم أمامه، وينسوا كل شيء إلا هو الذي يرى نفسه هو زعيمهم الأول والأخير. أحضر رجاله (عماله) مع كل عتادهم وعدتهم وكل ما يملك، وحلمه الكبير وخياله الواسع بأن يتربع على عرش الحصادين ويتوج بوسام؟!...

ظهر من بعيد كبير لم يخطر على بال أي من سبقوه لرجال الصاد، لقد كان كل واحد منهم يعتبر غيره ما هو إلا عامل عنده لما يمتلكه من غرور وكبرياء لأنه يقيس ما قام به إلا تجهيز كامل للنجاح من مواسم الحصاد وبظهور هذا "الكبير" بدأت الأحلام تتبخر وقد تذهبت أدراج الرياح، أو كرماد نذروه....

فأحدهم أحس بأنه يجر أذيال الهزيمة قبل وقوعها فهو ضعيف أمام هذا الزعيم الهادر والموعود ضد الجميع، أما الآخر استبد به الأمر إلى المواجهة والتصدي للحصاد "الكبير" وفي مخيلته أشباح وأوهام لنصر عليه وإرغامه على التنازل، أما "الزعيم" صعق بوجوده لأنه يزعم أنه زعيم ولا جدال في ذلك ولن يقف في طريقه أحد مهما بلغت به سبل

النجاح لأخذ وسام الحصاد والتربع على هذه المملكة، والحصادين الآخرين أصيبوا بخيبة أمل وتلاشى النصر الموعود الذي كانوا يُمَنُّون به أنفسهم فأحبطوا جميعاً واختاروا صفة الحَصَّادين الصغار لما شاهدوه من زعيمهم الموسوم قبل أن يظهر هذا "الكبير" فكلهم فكت عراهم ودب اليأس إلى مضاجعهم وأصبح الخوف والهلع ملازماً لهم، فلا أشواك لهم تعترض طريق زعيمهم فالدروب سهلة مهيئة له فما بالهم بالكبير، يهم أمام زعيمهم إلا خدم وعمال...

في لحظات عابرة وقف الزعيم مع نفسه للمعركة الموعودة والفاصلة مع هذا "الكبير" استعرض قوته وعتاده وخططه للإطاحة به، فكسر حاجز الخوف وسلاسل القيود التي يراها سداً منيعاً في طريقه لحسم هذه المواجهة... بعد حين أفاق "الزعيم" على صوت ضجيج جعله يهذي ويقول كلام غير مفهوم، ثم ظهرت بعض الكلمات في ثناياها سأهزمك وأتولى الزعامة وأجعلك خادماً عندي، إلى أن خفتَ وهدأ وفي الحقيقة ما حدث هو أن "الصغار" قاموا بالضجيج والشوشرة تعبيراً على جر أذيال الهزيمة والتسليم بالأمر الواقع، و"الزعيم" ما زال في حلمه الأول متشبثاً به ويعدُّ نفسه بالنصر رغم المخاطر والعقبات التي يتعرض لها كالوائق من الزعامة!...

والكبير في مملكته وبرجه العاجي لا يسمع لهم أثر أو حراك، فمقولته المشهورة والثابتة "الكبير كبير والصغير صغير" ويعتقد ويتصور أن إمكانياته لا يستطيع ومن المستحيل أن يجارها أحد، فضلاً عن مدعي الزعامة، فقوته للحصاد لا قبل لهم بها فهي فوق مداركهم وتفكيرهم لأن لقب "الكبير" لم يأتي هكذا جزافاً أو من فراغ إنما عمل متواصل وإمكانيات طائلة وقوافل جرارة، إذن فالمملكة له وحده لا ينازعه عليها أي زعيم.

قبل أن يبدأ "موسم الحصاد" بل "الحسم" وقع ما لم يكن في الحسبان ولا يخطر على بال أحد سواء من الزعيم أو الكبير والصغار، حسب تعبير "الزعيم" إنها المفاجئة غير المنتظرة ولا المتخيلة فهي الصدمة التي ضربت الجميع من كبيرهم إلى صغيرهم فارتد الجميع وأثرت فيهم.

أصيبوا بالإضطراب واختلال توازنهم وعروشهم في مكانهم، اندهشوا أغمي عليهم فلم يستفيقوا إلا تحت أرجل "البعبع" رؤوسهم بقيت منحنية لا حراك لها فالأرض تجذبهم ومنهم من تحصد بعض أطرافه والمصاب بفقدان البصر، والآخر عجز عن الكلام والحركة، ومنهم من سكن تحت الأرض فالجميع خضع له، فلم ينطق

موسم الحصاد ----- مصطفى ضو

بكلمة بل صورته في ذهنهم جعلتهم في حالة هستيرية متواصلة، بعد برهة من الزمن حين أفاق بعضهم.

"البعبع" ما زال في مكانه يجلس على مقعده في هيئة المنتصر أمام الكبير والزعيم وبعض الصغار أو ما تبقى منهم، فهم يجثوا على ركبهم أقرب إلى الأرض، جاء الخدم والعمال لم يصدقوا ما يشاهدون حلم أم خيال...

فنطق الكبير بحرف واحد لعدم إستطاعته أن يكمل الكلمة التي يريد أن يقولها والزعيم وبعض الصغار يراقبون المشهد في ذل و"البعبع" رافع هامته إلى السماء في نزوة كبرياء وعظمة فأشار على حاشيته أن يُنحوا عليه ما يراه أمامهم الزعيم والكبير وبعض الصغار وكل ما أثر لهم؟!...

ثم أمر الحاشية بأن يحصدوا كل شيء أمامهم فلا غيري حرِّي بهذا المشهد!.....

بقي الكبير يردد حرفه في هذيان متواصل لا ينقطع إلى أن لقب بـ "الحرف الكبير" والزعيم فقد كل شيء فلا يسمع ويرى وقلَّت لديه القدرة على الحركة إن لم نقل سُلت بنسبة كبيرة فهو قعيد وحرركاته معدودة ولا يقوى على الانتباه للأشياء هذا هو مصير الغرور...

من مكان إلى آخر ينتقل "البعبع" وهو محمول على الأكتاف لأنه هزمهم جميعا فهو الملك الأعظم الذي يعيش في قصره المشيد من الزمرد المرصع بالجواهر النفيسة والخدم والحشم والحركة الدؤوبة التي لا تنقطع وهم بين رائح وغاد، فهو الأمر والناهي عندهم لا غيره.

أما الصغار فأغلبهم اتخذ مسكنا له تحت الأرض والباقي مسحوق لا ذكرى ولا أثر كان من بين الصغار من يدعي بالنجومية وأنه سيزحزح الكل ويتبوء الريادة والمكانة الأولى أمامهم حتى سمى نفسه بـ "النجم الساطع"، الذي سوف يكسر إرادة الزعيم والكبير فما بالك بالصغار ورفع شعار "التحدي والإسرار" لهزيمتهم جميعا على الإطلاق فلا مكان لهم في هذا الموسم فالإنتاج وما يترتب عليه من نصيبه وحده لا يقاسمه أي كان فالنجومية والصدارة هي وسام الاستحقاق الذي يضعه نياشين على صدره ليرهب به الآخرين... ومع ظهور "البعبع" تلكأ لسانه وغابت الكلمات واختلطت عليه الأمور لأنه كان يعيش خيالا حقيقيا فلم يعد لمعركة الحصاد سوى الوهم والخرافات فالتحق بالصغار وليسكن تحت الأرض؟....

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

دخل الخدم والحشم مجلس "البيع" في تبادل للأدوار والأعمال فيما بينهم البعض في لحظة من ذلك لم يتبها أو لا يُود أن يتبها وقع شيء داخل القصر أثار حرك وضجة كبيرة، وأحدث هرج ومرج فاختلط الحابل بالنابل وفي معركة الضجيج والفوضى العارمة إختلت موازين إدارة المملكة غاب كل شيء...

لقد... سقط "البيع" على الأرض فإذا به لا شيء إنه مجرد هيكل كرتوني.....

2013 /02 /25 صباحا على الساعة 9:35.

3- كوندي

الجو صاف تماما، والشمس في كبد السماء ترسل أشعتها الحارقة، الجميع يشعر بسخونة وحرارة فوق اللزوم. وهو جو طبيعي لأنه فصل الصيف المعروف بالحرارة والجفاف. في إحدى المدن الإفريقية (إفريقيا السوداء) على أطراف هذه المدينة ولد وعاش طفولته وصباه إلى أن أصبح شابا يافعا قوي البنية مدركا كل شيء يدور من حوله. عاش مع أقرانه وتبادل معهم أطراف الحديث في شتى المواضيع، أعادوا شريط ذكريات طفولتهم بحلوها ومرها، وأفراحها وأحزانها وشقائها وبؤسها، لكن لم يزداهم ذلك إلا وحدة إصرارا ورغبة لإيجاد مخرجا مما يعانونه من مصاعب في حياتهم، على الرغم من اختلاف عقائدهم ودياناتهم فهي مزيج من: الإسلام والمسيحية والوثنية. إنه يقطن في حي كوبالي الواقع على أطراف المدينة الذي يوصف بحي المهمشين والمغمورين.

البيت الذي يأوي إليه شبيه بخيمة كبيرة بناه والده عندما كان ذي قوة عضلية ونشاط وحيوية، جدرانه مكونة من الحجر والطين، أما

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

السقف عبارة عن أخشاب وبعض القطع الحديدية، فهم دائما مهددون بسقوطه من جراء العوامل الطبيعية والأيدي البشرية كونه موجود في أرض الغير فالمعانات لا تنتهي...

وفي إحدى ليالي السمر مع الأقران والأصدقاء الذين يعيشون معهم نفس الهم تبادلرت إلى أذهانهم الهجرة إلى العالم الآخر، أو كما يسمونه عالم المال والسعادة والشهرة حسب ما يسمعون عنه، رغم قلة علمهم به. تشجع الجميع لهذه الرحلة الخطرة وغير مضمونة العواقب، واتفقوا على طرح تلك الفكرة في جلسة أخرى قريبة.

اجتمعت الأسرة في سهرة عائلية، ولم يتأخر كعادته عندما يذهب إلى الأقران والأصحاب، فرح الجميع بعودته مبكرا وبدأت التأويلات: فقال البعض لا بد أن هناك شيئا ما وراء عودته المبكرة، فقاطعتهم أخته مبررة الموقف بأنه استجاب لرغبة والديه في الحضور المبكر، وفي أثناء ذلك كان يرمق الجميع بنظراته في صمت بعد أن ألقى التحية وجلس معهم. أما الأم فذهبت إلى إحدى زوايا الخيمة لتحضير ما تيسر من لتناول الطعام.

بدأ يتبادل أطراف الحديث مع أفراد الأسرة، بعد أن افتتح الجلسة والده بالتذكير بأيامه التي خلت وكيف كان يفاخر بين أترابه بعمله وما تنتجه الأرض من إنتاج، ثم تأوه وتأفف لأنه أصبح لا يقوى على العمل، وقطعة الأرض التي كان يملكها قد باعها ليغطي حاجات صغاره، ويعالج نفسه من الأمراض المزمنة التي تكالبت عليه وألزمته الفراش، وبعد ذلك أحييت له الكلمة ورنين أحاديثه مع زملائه في السهرة السابقة مازال صداه يتردد في أذنه، وحلمه الكبير إلى عالم المال والشهرة يراوده، والابتسامة المشرقة تلوح على محياه. فقاطعه أخاه قائلاً: أراك اليوم قد تغيرت يا كوندي، فأجاب: سترى قريباً خيمتنا بيتاً جميلاً إن لم تكن قصراً، فبادرته أخته الصغرى قائلتا: إنك تعيش في عالم الخيال يا كوندي. رد بكلمات تنمو على أنه واثق من عالمه الذي بناه وتصوره، فقال: سنرى يا أختي. ثم تدخلت الأم وقالت: مبارك يا كوندي، هذا ما أتمناه لك ولجميع الأسرة أن تعيشوا حياة أفضل مما نحن عليه الآن. وفي لحظة شرود ذهني لكوندي، رحل إلى عالمه وحلمه وخياله وبدأ في تصور المنزل الذي سيسكنه بعد سنوات ليست ببعيدة والسيارة الفاخرة من آخر طراز، والمرأة التي حلم بها منذ أيام شبابه، كل هذا وهو

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

صامت وعيناه صوب الأرض إلى أن نبهته والدته، ما بك يا عزيزي
كوندي؟ فرد قائلا: لا شيء يا أمي.

ذهب إلى فراشه وهو ينتظر الصباح على أحر من الجمر ليكسب المال
قبل التفكير في الهجرة، وقرر أن لا يخبر أسرته إلا عندما يمين
الرحيل حتى لا يُثنيه أحد عن هجرته، لقد مرت هذه الليلة كأنها
أطول من سابقتها، واستيقظ مبكرا على غير عادته، وتوجه إلى
معمل غير بعيد دله عليه أحد معارفه بأنهم يحتاجون إلى عمال
موسمين.

لقد بات كوندي قريبا من حلمه بعد جمعه لبعض المال. اتصل
بأصدقائه فوجدهم كذلك على أتم الاستعداد لهذه المغامرة المجهولة
العواقب. حضر الجميع وأخذوا بعض متاعهم على قلته لأن الرحلة
طويلة ستستغرق أياما بلياليها، وسيكون محظوظ من يصل إلى
الضفة الأخرى.

كاد كوندي أن ينسى إخبار أهله برحلته إلى العالم المنتظر، وتذكر في
آخر لحظة من انطلاق القافلة، فما كان منه إلا أن بلغ أحد الجيران

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

برسالة شفوية مفادها أن كوندي قد أخذ طريقه للعمل في الضفة الأخرى، وسبب عدم إخبار أهله بسفره هو ما حدث لأحد أقاربه الذي سلك نفس الطريق ليتتهي به الأمر ضحية للأسماك. ندبت أم كوندي حظها واستسلمت لليأس، أما أبو كوندي على وهنه وضعفه تأوّه بكلمات وإغرورقت عيناه بالدموع على فراقه المؤكد.

وصل كوندي ومن معه إلى ساحل البحر في آخر الليل بعد رحلة شاقة ومنهكة، لا لشيء إلا كونها قد تمت على ظهر شاحنة عبرت طريق صحراوي وسط الظلام الدامس والبرد القارص، كان ينتظرهم زورق يرسو على شبه ميناء. طلب من الجميع الصعود، فانتابت كوندي رعشة لم يحس بها من قبل، لكن بفضل إصراره وكبريائه المعتاد والتحدي الذي عُرف به سرعان ما تجاوز الأمر. كثر اللغط وعمَّ الهرج لكثرة المهاجرين، فازدحم الجميع والأعين تراقب بعضها وسط صمت رهيب. وقبل الانطلاق تقدم نحوهم رجل قوي البنية يتطاير من نظراته الشرور. فهمَّ الجميع مقصده وقدم كل واحد منهم ثمن الرحلة. وبعد ذلك طلب منهم الالتزام بالهدوء والبقاء في أماكنهم، ثم أشار إلى قائد الزورق أن ينطلق بعد نزوله

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

منه. كان البحر هادئا والظلام حالكا بعد أن أطفئ السراج الصغير المعلق على جانب الزورق.

انطلق القارب وبدأ يبتعد عن الشاطئ شيئا فشيئا، وعم السكون بين جموع المهاجرين إلا صوت أمواج خفيفة أخذ صوتها يرتفع تدريجيا، ورذاذ المطر طفق ينزل، وتلبدت السماء بسحب كثيفة، وصدى الرعد يتناهى إلى أسماعهم، وضوء البرق يكشف وجوههم، وفي لحظات تحول ذلك الهدوء إلى عاصفة شديدة مصحوبة بأمطار غزيرة ورياح شديدة هزت أركان الزورق الذي يعج بالركاب فأمر القائد الجميع أن يمسك بعضهم بعضا حتى لا يسقطوا من فوق المركب لأن الأمواج كانت تتقاذفه يمينا ويسارا إلى أن جاءت موجة عاتية كادت أن تقلبه رأسا على عقب، فتناثرت بعض الأغراض وغمر الماء أرضية الزورق، فاجتهد البعض بتفريغه بسرعة حتى لا يغرق تماما.

بحث كوندي عن بعض متاعه الذي وضعه في الحقيبة الصغيرة فلم يجده، أما بقية متاعه الآخر فكان ممسكا به وخاصة أوراقه الثبوتية وبعض الزاد والمال، ثم بحث عن أحد أصدقائه لكن دون جدوه

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

لأنه أصبح طعاما للأسماك وفي أحسن الأحوال ستقذف به أمواج البحر على الشاطئ.

هدأ الجو بعض الشيء فاستبشر الركاب خيرا، وعلامات السعادة بادية على وجوه بعضهم، والمآسي والأحزان على وجوه الآخرين، ومن بينهم كوندي الذي فقد صديقين له من جراء العاصفة إذ فقد أحدهما في البحر والآخر اتابته وعكة صحية أدت إلى وفاته. تمالك كوندي نفسه وتحمل كل هذه المشاق والمعانات والإرهاق النفسي والجسدي في سبيل تحقيق حلمه الذي يراوده منذ أن كان صغيرا يافعا، وفي لحظات وجد نفسه على اليابسة وسط الظلام الحالك، وبذلك يكون قد أنهى هذه الرحلة الصعبة والليل في آخره، والهدوء يعم المكان إلا من إشارات بالأأيادي والهمس الخفيف، ليتوجه بعدها الجميع إلى مكان معين حتى لا يشعر بهم أحد لأن من يقبض عليه مصيره العودة من حيث أتى مباشرة.

جال بخاطر كوندي سمر أسرته، وتذكر صديقيه اللذين فقدهما، ارتعش قليلا وانقبض وسالت دموعه على وجنتيه، إنها دموع الحزن على فراق والديه وإخوته، وكل أصدقائه فإذا بصوت قائد الرحلة

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

يناديه بهدوء لأخذه إلى مكان الاختباء لأنه في عجلة من أمره ولا وقت لديه للعودة إلى دياره... مسح كوندي دموعه ثم ذهب من حيث الاتجاه الذي دلّه عليه.

تجمعوا وهم في حالة يرثى لها من إغماء وإرهاق وحزن وأسى على حالهم التي وصلوا إليها، تنحى كوندي جانبا ليس ببعيد عن رفاقه ليأخذ غفوة، وبإطلال ضوء النهار استيقظ الجميع والوجوه شاحبة وآثار التعب والألم بادية عليهم، تفرق الجمع وأخذ كل واحد منهم طريقه فمنهم من قبض عليه ومنهم من اختفى في المدينة الكبيرة، أما كوندي صاحب التحدي والمثابرة تناول من محفظته بعض المال ليشتري ما يسد به رمقه ليقهر الجوع وكان له ما أراد، ثم ارتاد مقهى وبدأ يقرأ جريدة كان قد اقتناها وهو في طريقه لأنه متعلم ويعرف أصول السفر، طلب فنجان قهوة ورشف منها قليلا فإذا بأحد يقترّب منه يحمل نفس لون بشرته وهو لا يعرفه، فألقى عليه التحية ودار بينهما حوار طويل، وتبين لكوندي أن هذا الرجل من بلده لكنه يعيش في هذه المدينة من وقت طويل ولا يعرف عن موطنه الأصلي أي شيء إلا من خلال الحكايات التي يسمعهما من الآخرين

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

لأنه فقد جميع أفراد أسرته فأمه قد ماتت وإخوته رجعوا إلى موطنهم الأصلي، ووالده توفي في حادث عمل وهو رجل أعمال مشهور في هذه المدينة، ويحمل جنسية هذا البلد منذ عقدين كونه يقيم هناك من مدة طويلة. فرح كوندي به كثيرا وتجاذب معه أطراف الحديث ونسي رجل الأعمال أن يقدم نفسه فاعتذر، ثم قال له: اسمي موندي وأصول عائلتي من مدينة إفريقية وفي حي على ما ذكر لي توبالي أو كوبالي لقد نسيت الاسم الحقيقي، تبسم كوندي ابتسامة عريضة، ثم قال: اسمي كوندي ومن نفس المدينة والحي أيضا الذي يدعى كوبالي يا موندي، إذن فنحن لنا صلة قرابة، فرد موندي: قد تكون كذلك....

تذكر موندي أن له لقاء مع أشخاص مهمين يزاولون نفس مهنته، فدعا كوندي للحضور، اعتذر في البداية لكن مع إصراره قبل كوندي وذهب معه إلى حيث لقاء موندي وأصدقائه، قدمه للحضور فأعجبوا به وبشجاعته وإصراره، وتبادرت في نفس كوندي أن يصبح واحدا منهم ولما لا يصبح كبيرهم في يوم ما.

طلب كوندي من صديقه الجديد القيام ببعض الأشغال عنده أو عند أصدقائه لأنه خريج الجامعة ولديه شهادة علمية، فوافق موندي على الفور ثم مازحه قائلاً: هل نسيت أصولك؟ وما تركت وراءك؟ هل اتصلت بأهلك؟ فأجابه كوندي: وكيف لي ذلك وأنا لا أملك وسيلة اتصال، فهب موندي مسرعاً إلى مكتبه وقال له: خذ هذا رقم أحد إخوتي وأظنك تعرفه، رد كوندي: أنا لا أعرفه، كرر موندي: تعرفه وقد سألتني عنك، إننا من عائلة واحدة إنه جوندي. رد كوندي: ذلك الصديق الذي لا تفارق الابتسامة محياه، قال موندي: نعم، خذ الهاتف، انتظر كوندي لحظات ثم سمع صوت من الهاتف يقول: مرحبا يا كوندي، كيف حالك؟ فأجابه قائلاً: بخير، فقال جوندي: كيف هو عالمك الجديد؟ فلم يرد... ثم قال له: لا تنس غدا صباحاً يا جوندي سأتصل بكم، بلغ والي ذلك. لم يكن كوندي يعرف أن هذا المقهى ملك لصديقه الجديد رجل الأعمال موندي إلا في نهاية العمل عندما طلب منه أن يساعد عماله في غلق باب المقهى وجمع الكراسي والطاولات، عندها استبشر وقال له: من اليوم فصاعداً سأكون أحد عمال هذا المقهى، ومع ذلك ترجاه أن يدلّه على عمل آخر نظراً لشهادته العملية إلا أنه أصر على ذلك، ثم دله على

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

غرفة النوم في الطابق العلوي ليلتحق بزملائه في العمل والذين في غالبيتهم أفرقة تقريبا، استسلم للنوم وهو ينتظر الصباح ليتصل بأفراد أسرته وخاصة والديه ليعتذر منهم ويطلب العفو والمسامحة والدعوة له بالتوفيق

وكعادة المقاهي فهي تفتح مبكرا لاستقبال العمال قبل ذهابهم إلى أشغالهم.

أما كوندي فكان متلهفا لسماع صوت أهله الذين لم يسمع أصواتهم قرابة الشهرين ليطمئن عليهم، فأخذ ساعة الهاتف وشرع في الكلام معهم وفي الأخير ودعهم على أمل اللقاء بهم قريبا وهم يدعون له بالتوفيق والرجوع إلى أرض الآباء والأجداد فوعدهم بذلك ثم وضع الساعة، وأخذ زفرة قوية شدت انتباهه من حوله واغرورقت عيناه بالدموع حتى كان أن يغمى عليه.

مرت سنة كاملة وهو على اتصال دائم بهم، ثم بدأت تقل لأن الجميع مراقب لأنهم مهاجرون غير شرعيين وهم يعلمون ذلك ويعيشون تحت رحمة من يعملون عندهم، فهم دائما مهددين بالتسليم للأمن أو الرضا بما يملى عليهم فيرضخون لذلك وهم

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

صاغرين ومستعدين لأي شيء يطلب منهم، والتعرض للتمييز والإهانات العنصرية.... إضافة للأجرة القليلة التي يحصلون عليها لقاء ما يعملونه طوال اليوم لكن كوندي يقاوم كل تلك المعانات عندما يتذكر ما كان يعيشه في بلده.

كالعادة يأتي مبكرا ومتخفيا من زاوية إلى أخرى ومن شارع إلى آخر أضيق منه كأنه مطارد، هذا هو سلوكه منذ أن فصله موندي خوفا من مصادرة المقهى وغلقه نهائيا لوجودهم غير الشرعي في هذا العالم. وبعد أيام قليلة وجد كوندي عملا في مصنع يعمل صاحبه خارج إطار القانون لذلك كل عماله على شاكلة كوندي، القوانين صارمة حيث يبدأ العمل مبكرا وينتهي الدوام متأخرا على مدار الأسبوع، وكل من يأتي متأخرا يخصم من أجرته الزهيدة، ومن يمرض أو يصاب يرمى به في الشارع هكذا كان قانون العمل...

أحس كوندي ومن معه بالخطر الذي يحوم حولهم كالمطاردين لا يقر لهم مكان، فهم على هذه الحالة دوما متنقلين ومتخفين من مكان إلى آخر لمدة شهر وهم على هذا الحال. وفي إحدى الليالي الشتوية الشديدة الظلمة خرج كوندي من منزل في ضواحي المدينة ليذهب

كعادته مبكرا معرفته مصير من يتأخر، وما إن خطى خطواته الأولى حتى شاهد أشباحا متجهة إليه، وسمع منهم بعض الكلمات عرفهم من خلالها أنهم الزوار غير الرسميين، فخاف وذعر ثم أسرع قليلا ليختبأ في أحد الأزقة الضيقة التي ألفها لكثرة مروره بها وخاصة في أثناء الليل، تنفس الصعداء كأنه ولد من جديد، وما كاد يسترجع أنفاسه حتى شاهد في آخر الزقاق المطل على الشارع الكبير الزوار الرسميين في انتظاره، فأحس بأن حركات أطرافه السفلية قد تجمدت، فاستدار إلى الخلف من حيث أتى فإذا بالأشباح تملأ المدخل الذي فر منه. قرر كوندي أن يهرب في الاتجاه الذي به رجال العصابات خير من أن يقع في أيدي الرجال الرسميين، تظاهر كوندي بالاستسلام وتلفظ بألفاظ توحى بذلك واقترب منهم أكثر حتى لفتح وجهه الضوء الكاشف، فتبين له أنهم الرجال الرسميين فأراد الهروب، وتسلق جدارا فلم يستطع، ووقع بين أيديهم وصعد إلى حافلة صغيرة وجد فيها ما لم يتوقعه إنه صديقه موندي رجل الأعمال الذي كان مجرد عامل في المقهى مثله مثل بقية العمال لكنه حاول استغلال كوندي ولم ينجح ولذلك فصله من العمل.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

في تلك اللحظة أدرك كوندي أن هذه المغامرة لا طائل منها كونها غير مضمونة النتائج والعواقب. أخذ كوندي ينظر إلى موندي باحتقار وازدراء وهو يميل رأسه إلى الأعلى والأسفل وشفته متلاصقتين دون أن ينطق بكلمة واحدة إلى أن وصلوا حيث تجمع المهاجرين الذين هم على شاكلته هنا فقط تذكر كوندي حديث أسرته على الغريب الذي مات في البحر غرقا.

ثم طلب من الجميع الصعود إلى حافلات معدة خصيصا لهذا الغرض، وهي عبارة عن صناديق كبيرة بدون مقاعد حشروا جميعا بداخلها والكل صامت لا يتكلم لأن أحلامهم قد انتهت كونهم في طريق العودة إلى ديارهم بعد أن تمت الإجراءات القانونية المعمول بها. وبعد ساعات من السير، وصلوا إلى مكان حيث ترسو طائرات شحن البضائع لتقلهم إلى مواطنهم.

تأسف كوندي أخيرا وأخذ يتمتم بكلام غير مسموع والدموع تكسو وجنتيه، وهو يندب حظه وحلمه الذي تبخر وعالمه الذي صنعه لنفسه، وما هي إلى ساعات حتى حطت الطائرة وينزل

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

الركاب، والرجال الرسميين في انتظارهم للتوقيع على وثيقة بأن لا يعود مرة ثانية لمثل هذه المغامرة، ثم انصرف الجمع كل إلى حاله.

تغيرت حالة كوندي الشجاع القوي الصبور وأصبح ضعيفا هزيلا يائسا، حمل متاعه على قلته واتخذ سبيله إلى بيته، وصل إلى المدينة التي يسكن فيها وأخذ سيارة لتوصله إلى حيهم، أشفق عليه صاحب السيارة بعد أن روى له رحلته البائسة والوضعية التي آل إليها، ثم قال له بأن المدينة تغيرت بعد أن شهدت حوادث عنف واشتباكات وقعت منذ فترة قليلة، ما دفع بمعظم سكان الحي إلى الهجرة إلى مناطق متفرقة، فأوصله وتركه لحاله.

وقف كوندي حائرا يبحث عن أي شيء ليتعرف على مسكنهم، فتذكر الشجرة الكبيرة التي تقع في وسط الحي، فشاهد من بعيد آثارها مازالت تشق الأرض وهي عبارة عن معلم قديم، اتجه صوبها والناس الذين يراهم بين غاد ورائح لا يعرف منهم أحدا على الإطلاق. لقد تغيرت ملامح الحي وكذلك قاطنيه. شاهد من بعيد رجلا يبدووا في عقده الخامس جالسا بجانب الشجرة يتناول سيجاره ويرمي بدخانها إلى السماء كأنه يستمتع بهذه العملية، اقترب منه

فحياء فلم يرد التحية، واقترب منه أكثر إلى أن أصبح الفاصل بينها وأدخنة السيارة، كرر وكرر السلام وهو واقف ينتظر إلى أن مر به رجل وأوعز إليه بأنه مريض ومضطرب عقليا، تنحى عنه ولحق بذلك الرجل حتى أدركه وسأله عن أسرته، فقال له الرجل: أنا مواطن جديد في هذا الحي، فانصرف منكسرا ومشى بضع خطوات وإذا به يشاهد طفلا صغيرا ينادونه أقرانه بجوندي، أخذ كوندي نفسا عميقا وهو شديد الإرهاق وقال وهو يحدث نفسه: ربما هذا الطفل هو احد أبناء أخيه سماه دلعا لوالده جوندي، اقترب من الطفل وسأله فلم يعره أي اهتمام، بقي يراقب مشهد اللعب وأشعة الشمس تلفحه ولا يشعر بها ! فجاءه طفل وقال له: ماذا تريد يا سيدي؟ وفرح كثيرا ورد على الفور: أبحث عن أسرة كذا وكذا... فدلّه على دكان غير بعيد، استرجع كوندي بعض ذكرياته الطفولية الجميلة في هذا المكان والسعادة قد دبت إلى محياه فشكر الطفل على ما قدمه له ثم دخل على صاحب الدكان المتواضع — وفي الحقيقة هو أحد أقاربه — لم يعرفه لأنه مرهق ومتعب ومنكسر نفسيا وضعيف لا يقوى على شيء، استجمع قواه وذاكرته عسى أن يتذكر شيء لوالده حتى يقوله لصاحب الدكان، فبادره: تفضل ماذا تريد أيها

الغريب؟ فرد كوندي والدموع لم تتركه يتكلم وقال: لست بالغريب ولكن أفعالي هي الغريبة، سأله صاحب الدكان: كيف ذلك أيها الرجل الطيب؟! فرد كوندي: لقد خرجت من هذه المدينة كلي إصرار وعزيمة وإرادة لتغيير وضعي المعيشي إلى الأفضل في ذلك العالم – عالم المال والشهرة والجاه – أما الآن فإني كسير النفس، لقد ضقت كل أصناف المعانات، وأخذ كوندي منديلا صغيرا كان في جيبه ثم مسح دموعه وأردف قائلا إنها رحلة مغامرة ومن يسلم منها فهو المحضوض يا صاحبي فرد صاحب الدكان يبدو أنك عشت المعاناة والأخطار والمآسي فرد كوندي: أجل ذلك ما وقع وما عشته، ثم أخذ نفسا عميقا وقال: أود أن أرى والدي وإخوتي في أقرب الآجال لأن المرض يطاردني ولا أمل في الشفاء. لقد كان كوندي جالس على مقعد خشبي فطلب كوب ماء قال صاحب الدكان: ما اسمك أيها الرجل الطيب؟ وقبل أن يذكر اسمه تنهى إلى سماعه مرة ثانية اسم أبيه الذي ينادي به الطفل الذي يلعب معهم فسأله عنه فقال له: إنه ابني الوحيد بعد موت زوجتي أثناء المخاض، لقد سميت به هذا تيمنا بوالدي الذي فارق الحياة حزنا عن ابنه الذي هاجر ولم يودعه ووالدي قد وافاها الأجل منذ شهر،

وأنا اليوم وطفلي وأختي في هذا المنزل المتواضع الذي أخذنا الدكان جزءا منه بعدما هاجرنا إلى هذه المنطقة. اتسعت حدقتي عيني كوندي كأنه يريد أن يقول شيء ولكنه لم يستطع الإفصاح عنه حتى كاد ينهار والمرض ينخر جسمه لقد شعر بالندم والحزن والحسرة على ما بدر منه نحو والديه لأنه لم يستشرهما في مغامرته الفاشلة، وها هو يحصد السراب والويل فأجهش بالبكاء وهو لا يقوى عليه حتى رق لحاله صاحب الدكان وعلامات الحيرة بادية عليه، فقال له: هون عليك الحياة مسرات وأحزان، فقال له كوندي هل تعرف أخ لك هاجر منذ ثلاثة عشر سنة، قال: أكيد وما اسمه؟ إنه ذلك الشاب اليافع الصبور صاحب التحدي المطيع لوالديه، ولكن رفقة السوء حملته إلى ما لا يحمد عقباه، لقد انقطعت أخباره منذ أيامه الأولى، لقد أغراه المال والمدينة والحضارة الموعودة، كما يردد زملاءه الذين نحو منحاه إلى أن فارق والديه الحياة، لقد كان غصة في فؤاد والديه، فأنهار كوندي تماما لما عرف من يحدثه هو أخوه الأصغر حتى أغمي عليه، وبعد أن أفاق وجد نفسه في غرفة بسيطة ممددا على سرير متواضع وبجواره أخوه وابنه جوندي الطفل الذي رآه أول مرة وامرأة تجلس في الجانب الآخر، إنها أخته التي عرفها من ملامح

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

أخيه الذي قال: له لا عليك يا كوندي فوالدي قبل المات ساحاك
لأنك لم تكن لتهجرتنا إلا من أجلنا، إنها يُكنان لك كل الحب،
ويتمنيان لك السعادة. تحركت شفتنا كوندي ثم نطق ببعض الكلمات
بصوت خافت، فاقترب منه أخوه أكثر لعله يسمع ويعي ما يقول
فإذا به يهذي بحروف وكلمات غير مفهومة، وما هي إلا أياما قلائل،
حتى التحق بوالديه.

الخميس 13/03/2014

4- العاقبة

أرعى الليل سدوله، عم الهدوء وسكن كل متحرك أصبحت القرية المترامية أكوأخها كأنها مقبرة مهجورة منذ زمن بعيد وبساتينها المبعثرة تترا كالكتل السوداء وقطرات الندى بدأت تتساقط وفي إحدى الزوايا المعزولة من الأطراف ينفرد كوخ متهالك عند الدخول إليه يخال لك انه عبارة على آثارا وساكنيه هجره منذ أمد، وفي شدة الظلمة الحالكة يظهر فيه نور خافت لا يكاد يضيء ما حوله، يؤمه زوج تظنه للوهلة الأولى أنه طاعن في السن، وبالاقتراب منه أكثر يتبين لك أنه من جيل الكهولة إلى الشباب. أبت الأيام أن تجعلها على هذه الوضعية المزرية لمعيشة بائسة لأنهما في الأصل عاشا يتيمين وهما في ريعان شبابهما، فجمعهما سقف واحد يتحملان المصاعب والمشاق والمناعب؛ فالزوج كان في طفولته يقوم بأعمال الكبار لأنه لم يجد من يأخذ بيده حتى يقوى عوده. وهو الذي يجعله يوهن العظم وتتكالب عليه الأيام، وما زاد أحواله سوءا هو موت والديه، أما الزوجة فإنها وبمرور الأيام تضايق منها زوج أمها فغادرت بيت أمها فأصبحت كالغريبة، وفي إحدى الأيام وهي تهيم على وجهها أبصرت أمها تناديا

فعجزت عن الكلام ووقفت صامتة وعلامات الحسرة والأسى بادية على ملامحها، ورغم ذلك كله كان على محي الأم شبه ابتسامة سبقتها زفرة من الأعماق فتهاوت الابنة على أمها تقبلها، وإرتمت في حجرها كأنها طفلة صغيرة وهي في منتصف عقدها الثالث تم هذا اللقاء على مقربة لكوخ لم تكن تعرفه من قبل قالت الأم على عجل لابنتها - لأنها تعرف مزاج زوجها- لقد جاءني من يطلبك لزواج فأجهشت بالبكاء حتى تكاد يتحول إلى صراخ، وبعد العاصفة هدأت البنت وأخذت نفس ثم ردت وأمها تودعها بالقبول والإيجاب لأنه ليس لها خيار، فتم للأم ما أرادت فكان الزواج على تواضعه فعاشا الزوجين رغم ظروفهما القاسية حياة الحب والعطف المتبادل، وكبر معها الأمل عندما أصبحت الزوجة حامل.

وفي ليلة عاصفة من ليالي الشتاء جاء المخاض وحان ميقات الميلاد للأمل المرجو، فأسرع الزوج لكوخ لا يبعد كثيرا طالبا للمساعدة وقد استولى عليه الخوف وامتلكه وهو يرتجف من شدة البرد، وفي لحظات عاد ومن معه ليتفقد فوجدها لا تتحرك ساكنا فازدادت مخاوفه وانهارت قواه على ضعفها ووهنها! وبعد زمن قليل أفاقت فعادت إليه بعض الحياة وطال الانتظار، وفي لحظة قد غاب فيها يفكر في

أحلام تبدو غريبة، فتزف له البشرى بأنك أصبحت أبا لطفل بهي
الطلعة ففرح كثيرا وأطمئن على زوجته وتبادلا الابتسامات العميقة.
وتمر الأيام والسعادة تغمر هذه الأسرة فيترى الطفل في أحضان
والديه أعطياه كل العطف والحنان، فكان يملأ لهما حياتهما بالراحة
والطمأنينة فزاد تعلقهما والارتباط به أكثر فنشأ هذا الصبي في الدلال
لا يبخلان عليه بشيء رغم حالة البؤس والشقاء الذي فتح عليه عينه
لما يعيشانه والديه، فكانت ألعابه هي الحجارة والأخشاب وأوراق
الأشجار وبدأت تكبر معه المعاناة، ومن حين لآخر يأخذه والده معه
للمدينة لقضاء بعض شؤونه فكان الطفل ببراءته يسأل أباه عن كل ما
يشاهده أمامه في المدينة ويالحاح في بعض المرات وتزداد علاقة الطفل
بالمدينة. وبمرور الأيام وفي بعض الأحيان أصبح يذهب لوحده لها
للقيام بما يطلب منه وبتكرار زيارته برفقة والده أو بمفرده تعلق بها
أكثر، وخاصة وانه اشتد عوده وأحس بأن الرجولة تسري في جسمه
التحيل، وكثر ذهابه للمدينة والمكوث فيها لأيام قلائل وجوابه الذي
يقدمه لما يستفسر عن غيابه بأنه يريد أن يساعد والديه في تكاليف
وأعباء الحياة لرد الجميل لهما.

لقد أهال الشاب الريفي ما وجد في المدينة، ولكنه أخفاه في نفسه من قبل لأنه كان طفلا وتعدد غيابه عن والديه، فاحتسب أمرهما وصبرا وبمرور الزمن أصبح حضوره إلى القرية إلا نادرا. فأدخل في نفس الأم إحساس غريب لشدة عطفها وحبها وارتباطها به؟ أما الأب بدأت تتمالكه شعور باليأس اتجاه ابنه. وفي مساء ذات يوم لما كان يحمل المتاع وغارق في تفكير عميق، وإذا به سمع صوتا يناديه يا عم... فأبصره أحد أفراد قريته عائدا لتوه من المدينة عرفه من بضاعته التي يحملها فبادره بالسؤال عن فلذة كبده، فرد عليه مبتسما انه يقرئك السلام ولأمه ثم أدخل يده في جيبيه واستخر ظرفا بدون عنوان وسلمه إياه وودعه، لأن عائلته في انتظاره لم يدرك نفسه فمشى بخطوات أرادها مسرعة ولكنها متثاقلة ليعود ويبعد عن زوجته بعض ما هي تعانيه من غياب وحيدها وانقطاع أخباره، فدخل الكوخ الذي لم يعد يصلح حتى للحيوان فوجدها جالسة في احد الزوايا، والدموع تنساب على خديها المحفورين فلمحته مسرعا نحوها فمسحت دموعها ورفعت رأسها وقابلته بابتسامتها المعتادة رغم بؤسها، ولمحت في يده ورق أبيض فنهضت كأنها طفلة ولم تدري كيف فعلت ذلك، وقالت: امن عنده؟ فرد بلغة الحزن أجل إنتبتها

أحاسيس جعلتها تشعر ببعض السعادة وخيوط الأمل، لأنه لم يتصل
بهما قرابة الستين، فتناولت الرسالة وبدأت تقبلها وتحتضنها كان ابنها
قد مثلُ أمامها، والزوج واقف يراقب المشهد الغريب! وبعده فترة
طلبت منه أن يقول ما تحتويه.

فنسي في حينه عندما التقى عائد قريته أن يخبره ما هو طي هذه
الرسالة، فشعر بخيبة وبنوبات التعاسة تختلج في نفسه فكنتم حسرته
وأسأه، وقال لها: علينا الانتظار إلى الغد ليس بمقدورنا الاطلاع عليها
في هذا الوقت لعدم وجود مصباح للقراءة فما بالك بالبحث عمت
يقرأ فحواها.

فأخذت الرسالة مرة ثانية وطلبت منه أن يتركها بجوارها فكان لها
ما أرادت، ودخلا في نوم عميق. وبعد لحظات قصيرة كانت واقفة
أمام الكوخ وأشعة الشمس قد اخترقته ودخلت من ثقبه الكثيرة،
شاهدت بأم عينها وحيدها باسم الثغر يقترب نحوها فاتحا ذراعيه
وهي لا تصدق ذلك فغمرتها نشوة لا توصف بفرح وسرور وهي
تصيح إني إني... فاستيقظت وإذا بها تجد نفسها في حلم، فأخذت
نفس طويل وهممت بكلام غير مسموع وعادت لتنام والفجر كاد أن
يطلع، وفي برهة غمر الكوخ الماء من كل ناحية فاستيقظا فزعين، فتشا

عنها فوجدناها في زاوية تكاد تغرق في الماء، فحملتها الزوجة وهي مستبشرة وتمني نفسها بما رأته في منامها، وبدا ذلك على قسماات وجهها، والزوج في حيرة من أمره على هذا الطارئ! لأنها لم تجرب به فطلع الفجر وتوقفت مطر عن الهطول والأثاث على قلته قد تبلل، فهم في انتظار بزوغ الشمس لمعرفة ما يوجد داخل رسالتها المقدسة!. وقبل طلوع الشمس بقليل كعادة لأهل القرية يبدأ تحرك ساكنيها، وخشية أن لا يجد من يطلعه عل رسالته أخذها معه وخطى خطوات قليلة وإذا به يجد من سلمه الرسالة راجع إلى المدينة فطلب منه أن يطلعه على ما كُتب فيها.

فحز في نفسه شيء يعلمه إلا هو فقال له: ابنك بخير كلام نسجه من خياله حتى لا يفاجئه فظهرت على الشيخ ابتسامة غريبة ثم أردف يقول له: بعد أن تصيب عائد القرية عرقا وصمت قليلا، فألح عليه أن يخبره وما يوجد في مضمون الرسالة فقال له: تعود لسبعة أشهر خلّت فرد وكيف ذلك؟ من تاريخ كتابتها ولماذا لم يرسلها في حينها؟ فبادرت يا عم ابنك... تكلم هيا أسرع لقد، ماذا... اعد سافر، سافر إلى أين... لم يحدد وجهته وتركها عند صاحب المقهى الذي كان نزيله وطلب منه أن يرسلها إلا بعد مضي هذه المدة... زفر الشيخ زفرة فكاد

أن يغمى عليه فرجع إلى زوجته وهي تنتظره على أحر من الجمر، رغم أنها شاهدت حالته وهي مستبشرة وتعيش في حلمها.

فبادرها وهو يحاول أن يخفي لها تعاسته وإشفاقه عليها، ولكنها طلبت منه الإسراع في إخبارها فانهمرت الدموع تتقاطر على تجاعيد وجهه ولم ينطق بكلمة حتى قالت وفي تلهف متى يعود؟ ما جرى له؟ هل اشتد به المرض؟ أم!.. قال كلمات مخنوقة لم تفهماها في المرة الأولى ولكنها أدركتها من حركاته، فقال وهو متحسر لقد هجرنا كعادته السابقة عندما كان يأتي لزيارتنا وعلى ندرتها فلا يعيرنا اهتمام بل يعيرنا بوجودنا في قرية ولا تكاد تراه حتى يختفي عن أنظارنا. لا نعلم أين يذهب وما يفعله ولكننا دائما نكتم أمرنا عساه أن يعود إلى رشده، بل إنه تمادى حتى انقطع علينا تماما وما هذه الرسالة إلا دليل على ذلك.

صُدمت الأم وأصفر وجهها ولم تكذ تتحرك، وخيم الصمت ثم تناول الشيخ الرسالة المشؤومة وقطعها إلى فتات صغيرة ورمها في اتجاه النسيم الخفيف وتمتم بكلمات غير مفهومة، واتجه صوب زوجته يواسيها ليخفف عليها بعض الحزن والآلام، وعلى وجهها المتجدد تستقر إستفهامات كثيرة فتحركت الزوجة قليلا؟، فانصب الشيخ كأنه ولد من جديد وهو لا يدري على حالتها شيء، لقد شعرت بأن

رجلاها قد شللتا تقدم نحوها ومد لها يده لتقوم وتدخل الكوخ لأن أشعة الشمس بدت محرقة، فلم تعطيه يدها اقترب منها ووضع ذراعه خلفها ليساعدها على القيام فأبت ذلك فأستعمل كلتا يديه فأوقفها ومشى خطواته الأولى ولكنها لم تستطيع أن تجاربه، فقالت في صوت خافت أصبر أيها الغالي إن المعاناة قد ازدادت فقال وكيف؟ إلا تلاحظ أنني لا أقوى على المشي عندها استسلم وذرفت دموعه ثم تأفف ونطق بدعاء غير مفهوم وهو على هذه الحال سمع صوت منادي لم يفهمه في البداية، ثم أدركه فيما بعد أنها السيارة التي تحمل أهل القرية إلى المدينة، فهم بالوقوف واللتفت إلى زوجته وبنظرات الشيخ الثاقبة لمح في وجهها انه لا أمل لقد تركنا كأننا نسيا نسيا، فأحتسب أمرك للخالق وتوارت السيارة عن نظره على ضعفه وذهب لحاله.

أما الابن قد اتجه صوب وجهة يريقتها لامع فيها كل المتع وهي أفضل من المدينة التي حلم بها في صباه فثمة المال والثراء... دخل عالمه الجديد فالأنوار لا تنقطع فأبهره ذلك، وكان يحمل معه بعض المال والذي جلبه بطريقة غير شريفة ليصل به هناك؟ وكان معه رفيق الذي يحسن القراءة والكتابة واستأجرا سيارة إلى فندق في المدينة الباهرة...

وفي وقت مبكر استيقظ الرفيق خلسة وهو يعرف أين خبا المال فأخذه عن آخره ولم يفتح الباب-الفندق مغلق المدخل- بل خرج من النافذة بحذر شديد فوجد نفسه في خلف الفندق أمامه إلا الصور فتجاوزه إلى زقاق يؤدي إلى الطريق العام، فأسرع قبل أن يدرکه احد واختفى في قلب المدينة، فدخلت نسائم باردة أيقظت الشاب ففزع لما رأى وجلس على أريكة في غرفة الفندق يندب حظه على خيانة رفيقه له. وفي تلك اللحظة طرق الباب ففتحه فإذا به عامل الفندق يطلب منه مغادرة الغرفة لإعادة ترتيبها بلغة الإشارة وهو يضرب أخماس على أسداس لأنه أصبح مفلسا لا يملك شيء، أخذ أغراضه ووضعها في الحقيبة ودون ترتيب وهم بالخروج تذكر قطعة نقود تركها قبل النوم تحت مخدته فلم يجدها تحرك يمينا وشمالا حتى انزعج منه عامل الفندق فنهره بكلمات لا يعرفها فأتجه نحو الباب وخرج من الفندق وهو مكسور الجناح.

وبدأ يفكر في شيء يفعلته فجاءته فكرة أن يبيع بعض متاعه فدخل إلى محل يشتري الأشياء المستعملة، وهو لا يعرف ذلك لأنه أُمي لا يجيد القراءة والكتابة، وضع حقيبتة على البلاط وبدأ يعرض سلعته على صاحب المحل ويساومه كل ذلك بلغة الصم والبكم، وفي غفلة منه

كان شاب يتبعه وفي لمح البصر اختفت الحقيبة – ومن حسن حظّه أن بعض أوراقه الخاصة كانت في جيبه – ثم مد يده ليتناول الحقيبة وهو مسرور لأنه كسب بعض المال، يتسم في وجهه صاحب المحل فحرك يده في كل الإتجاهات لم يجد شيء، فأدار جسمه فلم يعثر عليها فاستخف به من كان حوله ثم أمر بطرده خارج المحل، والظلام قد حل وقف ساكنا دون حراك، لمحّه أحد اللصوص فسأل لعبه على هذه الغنيمة، فترصده وعلى حين غرة وفي خفة ورشاقة لهؤلاء الماهرين انقض على ما في جيبه العلوي، ودخل متاهة في الشارع – ولا يعلم ما هي إلا بعض الأوراق التي لا تهمه بقدر ما تهم فريسته – ولكنه أبى ذلك فالتفت في جميع الإتجاهات لم يلاحظ أحد. لقد انقطعت به السبل فأصبح يهيم على وجهه ويعيش الذل والمهانة في حلم عالمه الأخاذ الذي بناه لنفسه!، أما والديه فوجدا من يساعدهما على بقية العمر.

الأربعاء 06 / 07 / 2005

5- غسان

اجتمعت في ليلة شتوية عاصفة في بيت متواضع يوحي لك من بعيد كأنه أطلال كوخ من زمن عابر في صفح جبل مرت عليه سنوات طوال وأثارها بادية على ما تبقى من الجدران، فهي فعلت فيه ما يتركه واد جارف حيث يعم الخراب ويجرف معه كل ما يصادفه في طريقه، كل هذا وهي تتسامر وتتجاذب أطراف الحديث مع ضحكات بريئة وأخرى كثيبة، فالكل يعبر على ما يعاينه متناسبا حسب معرفته ومداركة وعقله وتفكيره، فاشتدت العاصفة حتى تكاد ترزعزع أركان البيت المتهالك أصلا.

أرعى الليل سدوله وعمت ظلمة قائمة إلا من السراج الخافت الذي لا يكاد يضيء من حوله فيرى من حين لأجر حركات بسيطة إنها رحلة إلى النوم فيأخذ كل ما قدر له، يسرد أحلامه تفقدته الدموع ولا صوت معها وهو على هذه الحال إلى أن أخذته سنة من النوم، فتحرك بجانبه برداء قد لا يقيه بردا فأخذت معه أحلامه إلى سباته فأكثر بالزفرات والهمسات غير المفهومة وبعض الكلام مثل الغد، المدرسة الكتاب، القلم.... ويعد لحظات أخذ الشيء المتحرك نفسا عميقا ينم

على حزن وألم يعانقان هذا الجسد المكسور المشتت لا يدري عما يفعل في خضم هذا الألم والمآسي التي تحيط به من كل جانب، فاستسلم إلى حيث عالم الأحلام والخيال فانطفأ السراج وسكن كل شيء ما عدا صوت البوم الذي يقف على الأطلال والخراب ويبعث بصوته المزعج إلى أن تواري، فعم الصمت المكان.

وفي زاوية أخرى من الغرفة هناك، تناثرت دموعه على وجهه وسقط بعضها على الأرض، لقد أعياه التفكير والمصاب الجلل الذي يكابده لقد بترت ساقه نتيجة لشظية ضربته عندما كان عائداً إلى بيته وحاملاً معه بعض حاجاته!... فهو دائم التحسر على ما آلت إليه وضعيته الاقتصادية والاجتماعية فرجله المساعدة هي عصاه! التي يتنقل بها بصعوبة بالغة فإذا لامحته من بعيد يخال لك أنه متوقف لا حراك أو تنقل له، حتى السلحفاة قد تسبقه فمسح دموعه ووضع رأسه على قطعة قماش وتغطي بقطعة أخرى، عبارة على خرقة بالية والليل بدى في ساعاته الأخيرة حين أغمض عينه وتنامي أحواله في الشعور لتذهب إلى اللاشعور، ولضيق الغرفة انتقل احدهم إلى غرفة أخرى شبه متهالكة، إنه الابن الأكبر لؤي الذي تجاوز سنه الثلاثين فكل أحلامه حُكم عليها بالإعدام لما يرى وما تعايشه، لقد فقد ذراعه

عندما أصيب والده حيث عظمت الفاجعة ببتير ساق الأب وذراع الابن الذي هو في الأصل خريج جامعة شهادة ميكانيك للشاحنات منذ حوالي أربع سنوات خلت، فشاهدته يراها كأنها ورقة يحرقها وينسى أمرها، لقد دب اليأس في ذهنه ولا أمل في الحياة بعد اليوم فتتعمق الأحزان فيأخذ مكانه ليستسلم إلى حيث العالم الآخر والظلمة حالكة، فوضع ما تيسر من أخشاب وألواح على الباب والنافذة كستائر لها لعدم وجودهما لعلها تقيه مما يعانیه من البرد، اقترب من إحدى الزوايا ففراشه قطعة حصير مهترئة وغطائه ما تيسر من لوازم البيت بعد أن أصابه حريق فما سلم منه إلا القليل والنادر لشدته.

استسلم كذلك ولم ينجوا من دموع منهمرة غزيرة حتى بللت خديه من الأنين والتألم، ليس على نفسه وقدره بل على حال أسرته وأحزانها، وما هي إلا لحظات حتى انتقل إلى عالمه الوردي وخياله المبدع والانطلاق لعنان أفكاره.

دخل إلى ورشته والعمال ينتقلون من جهة إلى أخرى والأصوات متبادلة والمحركات تبعث بموسيقاها ورائحة البنزين والزيوت تزيد

موسم الحصاد ----- مصطفى ضو

من الجو ثلوثا وهو بين رجاله مازحا وشاكرا وناصحا ومعاقبا ويتجه إلى وبوابة الورشة لتسجيل زبائنه وتحديد المواعيد.

لقد لمح من بعيد شبح كأنه سلحفاة فركز المنظر فأدركه بأنه والده فذهب إليه مسرعا وهو يتقدم نحوه حتى أفاق فوجد نفسه عميقا ثم عاد إلى نومه.

لقد بدأ بزوغ الفجر ينجلي حين تحركت أم لؤي لتراقب ممتلكاتها فهي على عاداتها تستيقظ مبكرا هذا ما ترتب عليه منذ نعومة أظفارها فهي المرأة الصابرة والشجاعة والحكيمة ففي هذه الظروف الحالكة لعقود المعيل وإصابته وكذا الرجل الثاني لؤي ذراعه مبتورة أنغصت عليه الحياة بعض الشيء ولكنه التحدي الذي يراوده بعث في أم لؤي العزيمة والإصرار، لاحظت شبحا صغيرا يجارها إنها طفلتها التي لم تتجاوز ربيعها الثاني بعد تريد الاستيقاظ معها فربت على كتفها الطري لتعيدها إلى نومها وأحلامها هي ودميتها البسيطة الموضوعة بجانبها وهي عبارة عن رأس وجسد بدون أطراف تلاعبها وتمنيها بحياة جميلة، وهي لا تدري شيء على مأساة حياتها لروح البراءة التي تعيشها.

صاح ديك بعد لحظات منذر بطلوع فجر جديد ومعه التعاسة والأحزان تكبران نادت أم لؤي يا أبا لؤي، فإذا به قد أفاق منذ زمن غير بعيد وهو يراقب المشهد وازدادت معه المآسي والأين فرد عليها بالإيجاب، فتنفقد طفلها غسان عله يحتاج أن تربت على كتفيه ليكمل بقية نعاسه فأبى ذلك لأنه كبير بأحلامه وأهدافه وآماله المشروعة فهو حلم البراءة بل بقي في مكانه يتململ ينتظر الصباح ليحقق حلمه الأول الذهاب إلى..... تقدم غسان إلى أمه ليأخذ منها قبلة الصباح فأحست بحرارة تتدفق في وجدانها وفي هنيهة تذكرت حالها وهي تعد فطور الصباح على بساطته وتواضعه فتجمعوا حوله والعيون وحدها تحكي المأساة أما الشيخ الصغير فما زال يعيش في نظره وخياله الطفولي....

بادر لؤي والديه بالسلام ليذهب إلى حيث الأمل والعودة بما يسيرهما أما أبو لؤي فهو شبه بمقعد لقد جلس على قطع خشبية رتبها لؤي منذ زمن تجاري كرسي وقد تفنن فيه عله يخفف عن والده في جلوسه، أما غسان فتأهب ليحمل بعض أغراضه وهو يمن النفس بمستقبل زاهر وحياة راقية وعيشة كريمة هذا هو تفكيره رغم صغر

سنه فجي والديه بابتسامة عريضة وسلام شجى ولا يدري ما هو القدر الذي ينتظره بعد لحظات.

استرجع الوالدين بعض الذكريات الحاملة البعيدة فتدخلت مأساتها دون إذن في تلك الحال فلم يستطيعا ان يفارقا محتتها وما يعانيانه وهم على هذه الحال من البؤس والآسى ويناولان فطور الصباح في مملكة المآسى والأحزان بعد مغادرة غسان البيت سمعا صوت هادر ل يتمكنوا في الوهلة الأولى من معرفته وفي برهة من الزمن تبين بأنه أزيز طائرة بدأ يقترب شيئاً فشيئاً لأنها على ارتفاع منخفض لقد صبت أكوام كبيرة فاتجهت الأم إلى حيث الصوت وأبو لؤي يطالبها بالرجوع وهي خائفة على فلذة كبدها غسان الذي خرج لتوه من البيت حتى سمع صدى صوت عال أعقبه انفجار عنيف خلف وراءه دمار هائل على البنائات المجاورة فتهدمت وسويت بالأرض وبعدها بلحظات غاب أزيز الطائرة وظهرت أصوات أخرى متداخلة بين صراخ وعويل وبكاء ونحيب، لقد وقع انفجار هز المنطقة القريبة منهم، فهرعت أم لؤي تبحث عن غسان بين الحطام والركام لقد تاهت لكثرة الدوم والحفر وتغيرت ملامح المكان فهي أرادت أن تتجه صوب مدرسة غسان لعلها تجده جثة هامدة لتستريح وتبكي

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

حظها لهول الانفجار التفتت يمينا ويسارا والناس بين غاد ورائج
والدموع لا تفارقها بعد عناء ومشقة أدت ناحية المدرسة فذهبت
إليها مسرعة وهي لا تدري ما ستقوم به؟!....

أما غسان لقد وقف على أطلال مدرسته والغبار ما زال يملأ المكان
والدخان يتصاعد إلى عنان السماء وعيناه ترفرفان دموع وآثار الغبار
بادية على وجهه وبعض الأجزاء من ملابسه وما يحمل من أدوات تتم
بكلام غريب... ثم حدث نفسه بصوت مسموع راحت عليك
المدرسة يا غسان! والأم تائهة في المكان تبحث عن فلذة كبدها!

2014/02/18

6- صاحبي

كنت على عجل من أمري لأنني في مهمة لا يعادها أمر آخر، عندما استوقفتني مشهد ترك بصمته لدي، ونقش في خلدي لأنني تفاجأت به وما صدر في هذا الموقف العابر والذي لا يمكنني أن أنساه، أو أحياه من ذاكرتي بسهولة أو أتجاهله، لأن ما شدني في هذا الحدث أو قل مشاهد مسرحية فصولها لا نهاية لها.

فكل فصل على حدا يعبر عن مشهد يحرك الوجدان، ويترك الأثر والانطباع المؤلم.

كم تحسرت على الأمر وأفزعني ما رأيت وسمعت من قول وعمل، لكنني كتبت ذلك في نفسي حتى لا أكون متهورا وموقفي هو رد فعل فقط، بل أضعه في ميزان العقل المقياس الحقيقي لما يتبادر في الذهن من قول أو عمل، وما شد انتباهي أكثر بل أنساني الأمر هو الشخص الذي أمامي، صاحب الصوت الجوهري واللباس الناصع البياض وعلى رأسه قبعة من شدة جمالها اشتقت أن أضعها على رأسي، فشعرت بنفسني تحدثني بأن أسترسل معه في الحديث فكادت أنسى حتى التحية، ولكن تربيتي والمبادئ التي أحملها بل قل من العادات الحسنة

المتشبت بها بعد التحية و السلام، فتجاذبنا أطراف الحديث ولجماله وروحانيته لا نريده أن يتوقف فكان القلب أقرب منه إلى الأذن وكلي إصغاء ومبهور بحديثه الشيق فطلبت منه المزيد فأبى ذلك فتركتني وذهب لحاله.

آه لقد زودني وشحنني بكل ما يحمل الصدق والوفاء والإخلاص والتفاني في العمل فأخذته مرجعا لي بين الفينة والأخرى، حتى أصبحت كأني صدا لحديثه؟...

وتمر الأيام وألتقي بصاحبي مرة أخرى، رحب بي فوجدته على حاله السابقة القميص الأبيض والقبعة البيضاء واللحية الكثيفة التي غزاها الشيب، تبادلنا الحديث فكلامه كما هو معهود عليه سابقا مع نبرته الحادة الجديدة والتي ما عهدتها عليه أنفا وودعني على أمل للقاء آخر. تناه إلى سمعي أن صاحبي قد استثمر في عمل خاص خارج إطار الوظيفة فاستبشرت به خيرا، وودت أن أتصل به لأبارك له، لكن الظروف حالت دون ذلك، ثم وصلني خبرا مفاده أن صاحبي قارب على الانهيار والفشل منه إلى نجاح في استثماره الجديد؟...

تحسرت كثيرا وتأسفت على ما آل إليه وما يعيشه من ألم وحزن على هذا الفشل الذريع والإحباط ويتجرع مرارة ما يقاسيه؟... آه وألف آه

لقد تحول من رجل مفكر وحديث المجالس إلى لا شيء لأنه وضع نفسه في موضع لا يليق به، لم يعيشه منذ نعومة أظافره، بل عاش في بيئة مدنية مع خليط يسير من حياة الريف، ولم يتبع نهج أصحاب المهن والحرف، فهو بكل المقاييس تعامل مع المدنية أكثر من غيرها وهي في تحول سريع.

الآن يندب حظه ويضرب أخماس على أسداس حتى كاد ينفجر من داخله ويفقد جادة الصواب، لولا إيمانه بالقضاء والقدر، وفي قرارة نفسه أن ما قام به وهو متيقن بذلك مجرد تجربة يواكبها النجاح والفشل، أو مغنما أو مغرما هذا ديدن صاحبي.

فقد كانت هذه التجربة المرة والقاسية درسا لن ينساه، فبدأ يراجع نفسه ويبحث عن المخرج من هذا النفق المظلم أو الزاوية التي حشر فيها نفسه، بانلا يبقى مكتوف الأيدي ويتنظر الفرج، فلا بد من عزيمة وإرادة قوية للاستفادة من تجربته السابقة، فأراد أن يتجنب الأخطاء ويدعم النجاحات فأعاد الكرة من جديد ونصب عينيه النجاح لا سواه!...

ترك كل شيء يعيقه على أداء عمله الجديد بل هو متجدد فتوقدت في جسده روح التفاني والعمل الجاد والرغبة في النجاح وتحدي العقبات

والصعاب، مستعينا بالله أولاً ثم بأبنائه وأفكاره وتجاربه التي قاساها في بداية المشوار وولوجه لهذا العالم الذي لم يكن في يومنا من أساسيات حياته بل عده من الأمور الثانوية أو قل الجزئية، فالحياة دائرتها تدور فالיום ليس كالأمس والغد يختلف عليهما تماماً هي دورة الحياة هكذا. مازال صاحبي مسرا وحازماً رغم تقدمه في السن، وقل نشاطه وثقلت بعض حركات جسمه وبقي متشبثاً به وزرعه في أبنائه حتى أنهم تخلوا عن كل شيء في سبيل ما أراد لهم والدهم.

لقد لاح بصيص الأمل والخروج من النفق عند صاحبي، فبدأ يرى بأمر عينه ويلمس نجاح أبنائه وهو ما يتمناه، لقد سرّ كثيراً وشكر الله على ما أعطاه من حياة ليشاركه أمنيته ماثلة أمامه.

تغيرت حياته الاجتماعية وأصبح من كبار الجهة ويشار إليه بالبنان، لما تركه من أثر في التحدي والمثابرة والجد والتفاني في العمل.

وفي مناسبة سارة لأحد الأحباب وبينما نحن جلوس وقع نظري على صاحبي الذي لم ألتقيه منذ مدة وانقطعت عني أخباره، لقد شاهدته كهلاً أقرب إلى الشيخوخة من ملامح وجهه وحركاته، ذهبت إليه مسرعاً دون أن يراني فوضعت يدي على كتفه، التفت إلي وعرفني من الوهلة الأولى، فلمحت في وجهه الانبساط رغم التجاعيد التي بدأت

تملؤوه وابتسامة تعبر عن الفرح والسرور، تصافحنا وأتمنا السلام ثم دخلنا في الحديث وبادرتة عن حالته الآن وما سمعت عليه بالنجاح الباهر الذي حققه، فرد علي بالإيجاب والشكر، ثم أوعز لي بأن أتحنى جانبا عن المجلس. لقد باغتني بهذا التصرف ولم أعرف لماذا قام بهكذا موقف؟ فبادرني والحسرة والأسى بادية على محياه فاستغربت ودخلت الأسئلة علي دون استئذان فقلت: ما بك؟ فأجاب لقد تذكرت السنوات الخوالي عندما كنت على مقربة منك، ونحن نعمل في إطار واحد في الوظيف، لقد أعطيتك من طرف لساني حلاوة والحقيقة عكس ذلك ثم أخذ يمسح دموعه وهي تنساب على تجاعيد وجهه، فقلت له هون عليك يا صاحبي أن الشيطان يدخل بين المرء ونفسه إني أسامحك فلا تحمل همأً، عش بإيمانك ونيتك الصادقة، ثم قبلني وقبلته وصافحني من جديد وذهب لحاله؟؟...

الأربعاء

2015/10/14

7- الفستان الأبيض

وقفت أمامه وأصبحت وجهاً لوجه، وهي مخضبة بكل أنواع العطور وأفخرها، غيرت رائحة الفضاء الموجودة فيه، وانتشر عبقة في جميع الأرجاء.

حدقت فيه جيداً وشريط الذكريات ماراً أمامها بسرعة إلا من بعض المحطات المؤلمة، أخذت منها لحظات، ثم رجعت لحالها الأول، وهي تشعر بالغبطة والسرور لأن حلمها قد تحقق، رغم السنوات التي عاشتها، وبشائر هذا الحلم المعاش في واقعها كأنها ولدت من جديد، فراحت غارقة فيه - بابتسامة البراءة - كطائر يحلق في الفضاء، أو ملكة متوجة بعرشها كالملاك، والموسومة بالدلال والتبجيل.

أرادت أن تخاطبه لتعبر عن عمق سرورها؛ لأن انتظارها طال، حتى بدأ اليأس يدب نحوها.

عادت إلى فرحتها وهي منتصبة أمامه، إنها المرأة التي تشاهد من خلالها وهي تلبس فستان زفافها.

الخميس في 08 / 12 / 2016

8- الفلاح المجاهد

على سفح جبل من جبال الأوراس، وفي كوخ من القش، يقيم رجل شهيم ذو إرادة وعزيمة صلبة وشخصية تحمل في طياتها روح التحدي وحب الحرية والانعقاد من رقبة المستعمر الجاثم الذي عاث فسادا في الأرض، وسرق كل خيرات البلاد والعباد. لقد ناهز ذلك الباسل الخمسين من عمره، وهو يعيش في أسرة قليلة العدد، لكنها شديدة الاعتزاز بوطنيتها، وعروبته، وإسلامها. تعود على العمل لدى الملاك الإقطاعيين ليل نهار مقابل الحصول على بعض القوة لسد رمقهم يستيقظ باكرا كل صباح، ثم يوقظ زوجته لإعداد طعام يومه، وهو عبارة عن كسرة خبز وبعض الحليب تحلبه الزوجة من شاة تربيتها قرب الكوخ، وبعدها يغادر بيته متجها صوب الاحتقار والاستعباد والمذلة والإهانة التي يكابدها من قبل الرجل الأبيض الذي يعتبره عبدا مملوكا له يسيره كيف يشاء. وفي أحد الأيام ومع انبلاج الفجر، أقدم جنود الاحتلال على الهجوم على قريته التي يقطن فيها، فقاموا بإعدام عشرات الرجال، وحرق أكواخ القرويين، وسرقة مواشي الفلاحين، والضحكات تتعالى من

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

أفواههم كأنهم في موكب فرح. لم يزد هذا العدوان الذي قام به جنود المحتل الغاصب أهالي القرية إلا عزما وإيانا بضرورة محاربتة والوقوف في وجهه بالقوة من أجل تحرير أرض الأجداد من هذا الشبح الجاثم على صدورهم. ورغم تقدمه في السن وظهور التجاعيد على محياه، إلا أنه يزداد إصرارا على التضحية من أجل طرد الاستعمار، وبسبب تحريضه للأهالي وقيامه بعدد العمليات الفدائية، أصبح مطلوبا من طرف القائد العام لجيش الاحتلال، ووضعت مكافئة مغرية لمن يأتي برأسه حيا أو ميتا. ولم تقف إجراءات المحتل عند ذلك الحد، بل قام بالاستعانة بضعاف النفوس من الجزائريين الذين أغراهم بأبخس الأثمان لخدمته وتحقيق مآربه في أسرع وقت وبأسهل طريقة. ثم قام بتدمير بيت ذلك البطل وتشريد أسرته وتعذيبها من أجل البوح عن مكانه، كما عاقب أهالي القرية على مساعدتهم للخارجين عن القانون وعدم تبليغهم عنهم.

وفي صباح يوم من الأيام، جمعه القدر بمجموعة من الرجال الأشاوس كانت تقاسي مثله من ظلم الاستعمار وتعيش حياة الترحال والتنقل بين المدينة والريف هربا من أعين جواسيس المحتل

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

التي كانت تترصد أخبارهم وتتبع تحركاتهم للشواية بهم، وأسفر هذا اللقاء على توحيد الصفوف والعمل معا من أجل الوقوف في وجه الظلم وتحرير البلاد مضحين بالغالي والنفيس في سبيل ذلك فإما النصر أو الاستشهاد.

وما هي إلا أيام قليلة حتى جاء اليوم الموعود المتفق عليه، بعد أن أعدوا له ما استطاعوا من السلاح والأدوات البسيطة التي لم ولن تجاري سلاح العدو، لكن إيمانهم بقضيتهم وعدالتها واستعدادهم للتضحية من أجلها كان هو السلاح الحقيقي للمضي قدما في طريقهم للحرية.

وفي ليلة الفاتح من نوفمبر الأغر، فجروا الثورة التي باركها الشعب واحتضنها وعمت كل ربوع الوطن بيتا بيتا وحيا حيا قرية قرية. لقد ساهم كل أطراف المجتمع في إنجاح الثورة كل حسب قدرته، فالرجال يواجهون جيش المحتل في الجبال والسهول معتمدين على حرب العصابات في قتال الاحتلال نظرا للفارق في العدة والعتاد بينهم. أما النساء فكن يطبخن الطعام للشوار ومعالجة المصابين منهم، بل إن منهن من كانت تقاتل في الصفوف الأمامية للمعارك.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

أما الأطفال فكانت مهمتهم نقل الرسائل بين المجاهدين ونقل الطعام والماء والدواء في المناطق الجبلية الوعرة. وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة والمتلاحقة والانتصارات التي يرسمها هؤلاء الأبطال، عظمت في نفس الرجل الشيخ الشهم أن يرى هذا الوطن منتصرا حرا طليقا، فلم يتوانى في خوض المعارك الضارية مع المجاهدين الشجعان في ساحات الوغى.

أما المستعمر فكان يعيش في حيرة من أمره هذا، فخصائره أضحت كبيرة، والثورة أمست خطيرة، تهدد وجوده وكيانه على هذه الأرض. فلجأ لكل الأساليب لدحض الثورة في مهدها لكنه لم يستطع حتى باستعمال سياسة الأرض المحروقة التي لم تزد المجاهدين إلا إصرارا وعزيمة وصلابة ولم تزد الثورة إلا توسعا وانتشارا حتى صارت حديث القاصي والداني ووصل صداها لجميع أصقاع الأرض.

وبعد سنوات عديدة من القتال والتضحيات، قربت ساعة الحقيقة، فأصبحت تبشير النصر تلوح في الأفق، وقرب موعد الحسم بعد أن أدرك الاستعمار الغاشم عجزه عن قهر إرادة شعب تساوت عنده

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

الحياة والموت في سبيل تحرير أرضه التي لا يساوم عليها أبدا، وبدأ
ينقل جيوشه إلى فرنسا وهو يجر أذيال الخيبة والهزيمة معه لأنه انهزم
أمام شعب لا يملك من القوة والعتاد ما يملكه.

وبفضل الله أولا وتضحيات الشعب ثانيا، انتصر الأبطال وتحرر
الوطن بفضل دمائهم الطاهر الزكية، وأصبحت الثورة الجزائرية
يضرب بها المثل في كل شبر من العالم في التضحية ورفض الظلم
والدعوة إلى الحرية.

هرم الشيخ وأنهكت قواه، وأصبح مقعدا وقلت حركاته، وصار
يحتاج إلى مساعدة الآخرين، ومع ذلك كان فخورا لأنه شاهد راية
النصر بأم عينيه مرفوعة في كل ربوع الوطن. وفي إحدى الليالي
الباردة، حيث كانت الثلوج تكسو سفوح جبال الأوراس، وبينما
كان يسير، داس على إحدى الألغام التي خلفها الاستعمار فأصابه،
وتركه يغرق في دمائه، ثم فاضت روحه إلى بارئها، ودفن تحت
الثلوج الكثيفة.....

جانفي 2015

9- الحلبي

نال منه التعب وأنهد قواه، انزوى وبدأ يسرد أحلامه على نفسه... وفي لحظة عابرة انتابه شعور بالنشوة والفرح والسرور يسري في كيانه... فتح نافذة بيته الجميل المطل على البحر، تناول مقعدا ثم جلس وأدار جسمه ناحية البحر. هبت نسائم خفيفة أنعشته، وبعثت فيه النشاط والحيوية.

تأهب مسرعا كعادته للذهاب إلى عمله، تناول فطور الصباح في جو بهيج، يملأه الفرح والسرور والابتسامات المنبعثة من ثغر الزوجة والأولاد... حياهم مودعا واتجه صوب الباب، فسمع منبه البيت، فإذا بحافلة نقل العمال أمام الباب، صعد مسرعا والابتسامة بادية على محياه، حي الجميع ثم جلس وكلهم يرمقونه لأنه ليس من عادته التأخر...

تعالت الأصوات واختلطت، وأصبح من الصعب التمييز بين الصوت البشري وصوت الآلة، الكل منهمك في العمل، ويقوم

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

بدوره الموكل إليه، أما دوره فيكمُن في وضع العلب الصغيرة في
أخرى أكبر منها... دأب على ذلك لعدة سنوات.

سمع صوت لم يدركه من الوهلة الأولى، لكنه بعد رؤية إشارات
وحركات صاحب الصوت، عرفه... فإذا به يرى سيل هادر من
البشر يتجه نحوه، قام مسرعا واختفى فيه... لقد كان حلما
حلييا؟...

10- مريم

تجاوزت خريفها الثاني والعشرين، وكبر معها الأمل والطموح عسى أن تصبح مفيدة وخدمة لقومها، تقدم لهم كل ما يفيد، وتترك انطبعا حسنا عند غيرها... وحين وصلت إلى مرحلة الثانوية، كانت متفوقة على كل أقرانها في الدراسة حتى أصبحت مثالا للطالبة الناجحة، وقدوة للجميع بأخلاقها وجدها وانضباطها. وكانت مصدر فخر واعتزاز لكل أساتذتها، كل ذلك لم يأت مصادفة، بل كان نتيجة التضحيات والإصرار الذي اكتسبته خلال حياتها الأولى، فهي لم تر خيال أبيها ولا حتى ظل لأمها، فمنذ نشأتها عاشت وحيدة في بيت محطم الجدران رفقة امرأة عجوز، كانت هي بمثابة الأم والأسرة، تأخذها من حين لآخر إلى المقبرة لزيارة قبر والديها. كانت جميلة مثل زهرة الأوركيد، تحب اللعب والمرح مع المرأة العجوز. كانتا تفتتانان بما يجود به أهل القرية الطيبين عليهما، رغم التهميش والظلم الذي تعيشه تلك الفئة من طرف المجتمع.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو
و ذات يوم، تعرضت القرية إلى سيل جارف، لم يترك شيئاً في طريقه،
فدمر بيوت القرويين وأهلك مزارعهم وأغرق مواشيهم. ولم ينجو
من هذه الكارثة إلا أشخاص يعدون على الأصابع، كان من بينهم
تلك الفتاة التي أخذت تهيم على وجهها عليها تجدها مكان يجميها أو
بيتا يأويها.

الوادي في: 19_ 10_ 1999

11- رضوان والمغبونة

في إحدى مدن الغرب الجزائري رأى النور في السنوات الأولى من الاستقلال، نشأ وترعرع هناك إلى أن اشتد عوده وأصبح يافعا مؤهلا لمساعدة والده في عمله وحرفته التي ورثها عن أبيه ألا وهي حرفة البناء.

ترك المدرسة وبدأ يمارس المهنة الجديدة إلى أن أتقنها وبرع فيها وأمسى يُضرب له المثل فيها. وبعد سنوات من الكد والجد غادره والده إلى الرفيق الأعلى، وترك وراءه الأسرة التي لا معين لها إلا هو. ولم يرث من أبيه غير ما تركه من أدوات البناء القديمة البالية من كثرة الاستعمال.

وذات مساء اتصلت به امرأة تترجاه أن يتزوجها لأنها مغبونة عند زوجها الذي أنجب منه ولدا ومع ذلك فهو يهينها، ولا ينفق عليها، ويحتقرها، ولا يحسن معاشرتها. كانت امرأة ملتزمة ومحجبة، مرتادة للمسجد، فقبل رضوان الزواج منها بعد تشجيع من أهله وأقاربه. عاشت حياة ميسورة مع زوجها دون أن ينقصها شيء من

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

متطلبات الحياة الكريمة. أنجبت ثلاثة أبناء: بنت وولدين، البنت هي أكبر أخويها تزاول دراستها في معهد العلوم الإسلامية، أما الولدين فكانا يدرسان في الثانوية العامة.

بدأت الشكوك تراود رضوان من تصرفات زوجته، وبعد التحقيق اكتشف أنها كانت تخونه من وراء ظهره، ومع ذلك تصبر عليها خوفا على أولاده. ولم تمر أسابيع قليلة حتى توفيت أمه بسبب سوء المعاملة التي لاقتها من زوجته. حزن رضوان لذلك كثيرا لكنه بقي مصر ا على الاحتفاظ بزوجه.

وفي يوم من الأيام وعند رجوعه من العمل متعبا، بادرته بأسوأ كلمة يمكن أن يسمعها منها طيلة حياته ألا وهي طلب الطلاق كونها لم تعد تشعر بالراحة معه. حاول أخوها أن يثنيها عن قرارها لكن دون جدوى، لأن إحدى صديقاتها على شاكلتها أقنعتها بالفكرة من أجل الحصول على منحة أبيها المتوفى، باعتبار منحة المجاهد لا تعطى إلا للمرأة المطلقة. تم الأمر وترك لها السكن العائلي مع أبناءه الذين رباهم على كل الفضائل، وأمرهم ببر والدتهم وطاعتها.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

تزوج رضوان من أخرى بإلحاح من إخوانه وأصدقائه، وما هب إلا أشهر قليلة حتى أصبح يحس بالمضايقة والمحاصرة من قبل إخوته، فهجر بيت العائلة واتخذ من منزل أحد أصدقائه مستقرا له، ومع ذلك لم يدم الزواج طويلا، فذهب كل منهما في طريقه وهو الآن يعيش وحيدا، يكسب من عمل يده ومؤذنا متطوعا في أحد مساجد القرية راضيا بقضاء الله وقدره، قانعا بحياته منتظرا الفرج...

وهران 12/08/2016

12- مآسي وظلم

في ليلة من ليالي الشتاء، وفي بيت متهالك أبصرت النور وجود. هي واحدة من بين خمس أخوات يقطن في غرفة صغيرة متهاوية الجدران متسخة الأركان. كانت حياتهم صعبة نتيجة الفاقة التي يعيشونها، كن مسلمات بقضائهن وقدرهن متمسكات بخيط الأمل للخروج من تلك المعانات.

لقد تجاوز عمرها منتصف العقد الثالث، وبدأ يدب في كيانها الأسي والحزن على ضياع سنوات ربيع عمرها، وتلاشت أحلامها الجميلة في أن تعيش كباقي الفتيات وتكون أسرة وأبناء...

وذات مساء كانت على موعد مع القدر إذ تقدم من يطلب يدها لتكون زوجة ثانية. غمرتها فرحة هسترية بقدوم فارس أحلامها الذي انتظرته طوال تلك السنون العجاف. تمر الأيام وهي في حالة من الاستقرار والسعادة مع زوجها بعد أن كستها الحياة فستان الفرح والغبطة، وجبرت خاطرها، وأدملت لها جراحها فأصبحت ملكة في بيتها الجديد وكأنها ولدت اللحظة.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

وما فتئ يمر على زواجها أشهر حتى أنبأت أنها ستصبح أما، فزادت فرحتها وسعادتها، وأصبحت تترقب مولودها بفارغ الصبر لتذوق طعم الأمومة كباقي بنات جيلها اللاتي عشن تلك اللحظة.

ومع مرور الوقت، الحلم يكبر والطموح يزيد، فجأة حدث شيء مفرع لم يكن في الحسبان، وانقلبت الأمور رأساً على عقب بعد أن رزقت بمولود ذكر، وتحول الحلم الذي كان يراودها إلى كابوس مظلم، وأصبحت الضحكات آهات والأفراح أحزان، والآمال باتت سرايا بعيد المنال.

لقد تدخلوا في شؤونها، وكسروا معنوياتها، وأذلوا كبريائها، فأمست العتمة تلف نفسها وتكبل قلبها، لكنها تحملت كل ذلك بعفوية الطفل الصغير، فواجهت أنواع الظلم والإهانات بصمت وصبر.

أما الزوج فهو عجوز يتخذ من إحدى زوايا الغرفة مستقراً له، فقد افترسه الأمراض وأنهكته أعباء الحياة حتى أمس بالكاد يستطيع الحراك، فهي من تخدمه وتقوم بشؤونه وتسهر على راحته. وما كان

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

موافقة أبنائه على زواج أبيهم إلا بعد أن اشترطوا عليه عدم الإنجاب لكي لا يشاركهم بعد وفات أبيهم أي أحد في الميراث.

كان ولد الشقاء سببا في تعاسة أمه وحزنها، وجعل حياتها جحيما لا يطاق وأصبحت الأسرة مهددة بالانهيار في كل لحظة. فتجرت كل أصناف العذاب والمعانات وهمشت لدرجة أنها أبعدت عن زوجها وصار الأبناء هم من يتكفلون به ولا يفارقونه أبدا لحاجة في نفوسهم. وعلى الرغم من كل ذلك فقد كانت تواسي آلامها وجرحها مع صغيرها، وكانت تحاول دائما إخفاء دموعها المنهمرة على صغيرها كي لا يتولد لديه أي حقد وكرهية تجاه الأسرة.

هكذا كانت مسيرة حياتها ظلم وحزن والشقاء، لكنها راضية بقضاء الله مسلما أمرها له. تعيش مع ذكرياتها التي لا تفارقها أبدا كونها كانت حافلة بالمآسي والظلم الذي لم ينته طول حياتها

الأربعاء 18/02/2015

13- الزواج الميت

كان الفصل شتاء وفي إحدى ليليه الباردة، آوت إلى فراشها وحيدة، بعد أن أغلقت باب الغرفة بإحكام، ثم أطفئت النور، وتركت بجانبها سراج بسيط له ضوء خافت لا يكاد يضيء ما حوله، وضعت رأسها على الوسادة وجذبت الغطاء ليغطي جسمها النحيل.

بدأ التفكير يسري في ذهنها، فأعادها على عمر الزهور والبراءة ففتحت فمها على شبه ابتسامة، والتي غادرتها منذ خمس وعشرون سنة خلت على زواجها، أعادت الذكريات، وتداخلت فيما بينها، فغلبتها التعيسة والنكدة على السعيدة والمسرة، فهي تعيش غصة داخلية نغصت عليها حياتها ودفنت أمالها التي بنتها لنفسها منذ ذلك الزمن!... لقد تجرعت كأس المرارة والأذى والذل من زواجها رغم أنه لم يدم طويلا والذي كان نتاجه بنت بهية الطلعة في حقل من الشقاوة والمعاناة.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

كان زواجها في ريعان شبابها ولكنها لم تذق له طعما ولا رائحة!... فكانت نهايته الافتراق فزادت الآلام والحسرة التي تكابدها.

لقد سلمت لها هذه الغرفة على أنها مؤقتة، إلا أن الانتظار طال وأصبح الملل واليأس سيد الموقف، استتجت هذا الكابوس على الجميع من تصرفاتهم إشارة أو تلمحا ولبعضهم تصریحا. أما الكبيران فهمومهما وانكسارهما يخفيانه في مداعبة الطفلة ومن معه كبرت الطفلة وأصبحت تدرك ما حولها وتعيشه واقعا، ترى أمها كثيرة العزلة والانطواء والآخرين لا يعيرونها أدنى اهتمام، بل يعيرونها في ذلك ويطلقوا عليها عبارات وألفاظ تزيد من حجم المعاناة - لأنهم لا يفهموها- عدا الوالدين فهما دائما في صف المواساة والمساندة لها.

بدأت الطفلة تحدث أمها ببراءتها وسذاجتها وتفكيرها الطفولي فتسرق منها بعض الابتسامات، وترد عليها وهي تمسح على شعرها المتدلي على رقبتها ما زلت صغيرة، ستعرفين كل شيء حينما تكبرين؟...

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

سالت الدموع على وجنتيها ثم سقطت على الوسادة، أخذت قطعة قماش ومسحت بها وجهها والليل قد انتصف، استسلمت للنوم لتخلف وراءها بعض ما كانت تفكر فيه.

استيقظت على صغيرتها وهي تهم بالخروج وتتهياً للمدرسة، ونادت ماما. ماما! لقد حان وقت الذهاب هل أعددت ما أتناوله؟ قالت لها اذهبي إلى المطبخ وخذي فطور صباحك معك ولا تتأخري، خرجت مسرعة نحو باب المنزل، لأن صديقاتها يقفن أمامه في انتظارها ثم اتجهن صوب مدرستهن مسرعات، فشعرت الطفلة ببعض الآلام في رأسها ولكنها واصلت طريقها إلى المدرسة، فاشتدت عليها الآلام وزادت حرارة جسمها فسمح لها بالعودة على المنزل، طرقت الباب بصعوبة ولم تستطع الوقوف فسقطت مغشية عليها، أخذت مباشرة إلى الاستعجالات، نزل الخبر على الأم كالصاعقة، وهي تناشد الجمع ما لها صغيرتي كيف حالها، وهم يطمئنونها إن حالتها ليست خطيرة؟ فهي مجرد ارتفاع في درجة حرارة جسمها وبعد الإسعافات الأولية ستعود... ثم أعادت أدراجها إلى غرفتها وفي طريق عودتها تذكرت حلمها الكابوس

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

الذي رأته ليلتها، فرفعت صوتها بعض الشيء، لأنها لم يكن يسمع لها صوت بل حتى الهمس نادرا ما يحدث، فكلامها يتم بالعيون وبعض الحركات الفوضوية غير المنظمة أو المنضبطة، أين صغيرتي أين صغيرتي!... ودخلت الغرفة وغلقت الباب خلفها...

جلست على سريرها الخشبي، ووجهها متجها ناحية الباب تنتظر طرقها كما اعتادت عليه فهي تعرفه وتميزه عن طرق الآخرين، ثم سرحت في بحر أفكارها الحزينة والمؤلمة التي لا تنساها...فتنبهت على طرقات غير معتادة فارتفع خفقان قلبها المكسور، اصطنعت الهدوء رغم أنه أصل فيها ولكن الحال لا يقتضي ذلك، قامت مسرعة خائفة مترقبة فتحت الباب، إنه والدها يريد أن يرفع عنها بعض المعاناة ليواسيها كعادته فنظرت إليه وبادرتة بالتحية وهي تسمع كلامه وحكمه في الظروف العصيبة، بعد لحظات اقتربت منها والدتها فطمأنتها على صغيرتها فالأمر عادي ستتناول دوائها وتخف حرارتها وتتعافى، وأدخلتها على سريرها المحاذي لأمها ووضعتها فيه والطفلة ترفع عينها لأمها لتطمئننها هي كذلك!... لأنها تشعر بمعاناة أمها.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

تناولت الأم كوب ماء وجلست بجانب صغيرتها تحن عليها وتواسي نفسها في آن واحد فباتت ليلتها تراقبها بعد أن سكن كل شيء في الوجود، فلا تكاد تسمع أي صوت أو حركة خاصة في هذا الفصل وأنين الطفلة يبعث بالقلق لدى الأم وتقلبها في فراشها إلى أن تحول إلى صراخ، هرع إليها والديها ليستطلعا أمر الصغيرة فوجداهما في حالة تختلف عن المرة السابقة لقد احمر لون بشرتها وارتفعت حرارة جسمها، خف الصراخ ليتحول إلى نفس بسيط، فأخذوها على عجل على المستشفى والقلق بادي على الجميع، وفي الطريق زفرت زفرة خفيفة ثم توقفت أنفاسها فعادوا أدراجهم إلى البيت لقد نامت نومتها الأخيرة.

أما الأم تترقب بحرقه، وتروح وتعدوا في غرفتها رغم ضيقها، وبإحساس الأم وعاطفتها الجياشة انتابها شعور غريب بأن وحيدتها لن تعود كما كانت وهي على هذه الحال من الاضطراب والقلق وباب غرفتها لم يغلق كعادتها لشدة تألمها وحسرتها على ابنتها، أدارت وجهها ناحية الباب فشاهدت والدها يتسمر أمامها لا يحرك ساكنا وعيناه مغروفتان بالدموع رغم أنها لم تكن ترفع رأسها لأمرها

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

أو أبوها إلا عند الحاجة فاتجهت إلى فراش صغيرتها ثم جلست
والدموع تسيل لتبلل منديلها، ثم تأخذ نفساً، والحزن قد ملأ المكان
لقد غادرتهم إلى الأبد، أما الأم فتكالت عليها الأحزان والآلام
والمآسي.

مرت الأيام العصبية لفراق وحيدتها، وسكنت وخفت بعض
روعاتها ولوعتها عليها ولكنها لم تمحى من ذاكرتها وفي قرارة نفسها،
إنها لا تنسى ما دام فيها عرق ينبض حتى تجاورها تحت الثرى.

أما الوالدان فهما يحملان بذور الأمل والحياة لابنتهما لتعيد الكرة
من جديد!..

هدأ الجميع وعاد الجو إلى طبيعته المعتادة بين سمر وأمل وأنين
فالأمل يراود أبويها ان تخرج من قوقعتها وعزلتها لتستعيد حياتها
من جديد، لأن قطار بناء الأسرة ما زال في مقدورها ركوبه!.

بعد غياب وحيدتها انعزلت أكثر في غرفتها وخروجها منها أصبح
يعد على الأصابع، وحديثها مع والديها يكاد ينعدم فما بالك ببقية
أفراد الأسرة، ونال منها التفكير والأنين -حصاة الأسد الجائع من

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

الأدغال- لقد جالت بخاطرها عدة أفكار، وذهنها سارح معها، كيف تستعيد حياتها من جديد.

أما الوالدين لقد سرا كثيرا واستبشرا خيرا، لأن ابنتهم وهي على هذه الحال من الآلام وحزن، تحاول أن تستجمع أفكارها كلها لبداية حياة أخرى، بعد أن تقدم لها رجلا طلبا للزواج، فردت بالإيجاب، لقد فتح لها الباب مرة أخرى هذا ما سر به والديها اللذان يجملان الأمل المفقود منذ زمن.

دخلت إلى بيتها عروسا وهي تتناسى كل أحزانها، وتظهر الفرح والابتسامة لتبني الأمل المفقود، فراحت تتوقع حلمها وخيالها الواسع بأبناء كثر -لأن زوجها أنجب عدة أبناء قبل أن تموت زوجته الأولى- يملأ لها حياتها مسرات وأفراح!... رغم أن زوجها يقارب سن والدها، فما عساها أن تفعل وهي في هذه الحال - الحياة قسمة ونصيب-.

بعد أشهر قليلة بدأت حياة الأمل المفقود تنقلب وتتغير المعاملة من أبناء زوجها، فبعد أن كان الترحيب والاهتمام، جعلت شعورا

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

يدب في نفسها محاولتها مجارات بعض الخصال التي عرفت بها
أمهم، أصبح عدم الاهتمام واللامبالاة بها، حتى وصل بهم الأمر إلى
تعييرها بألفاظ لا تليق، وفي بعض الأحيان خدش كرامتها، وهي
صابرة ومحتسبة أمرها إلى الله، خاصة وأن زوجها لا توجد بينهما ما
يعكر صفوة علاقتها الزوجية رغم قصر مدة الزواج لأن أبناء
زوجها قاموا بكل هذه الأفعال والأقوال لحاجة في أنفسهم قضوها.
ما هي إلا أيام قلائل حتى عادت أدراجها على بيت أبيها ورجعت
على غرفتها الأولى!...

2015 /10 /05

14_المبتورة

جلست على مقعد في الصيف أنتظره، مرت أمامي مسرعة الخطى، وممسكة بيد تجذبها إليها وفي الأخرى تحملها، إنها فرحة مسرورة وحركات خصلة شعرها المتدللية على كتفها تل على ذلك.

آه..... لقد شد انتباهي ما تحمله هذه البراءة، وهي في قمة السعادة كأنها تملك العالم، فأشفقت عليها وأصبت بالحزن والآسى. إنها تحمل في يدها دمية مبتورة الأطراف؟.

وهران أوت 2016

15_ صاحبة التاج

جاءت أختها غير الشقيقة تود العيش معها، قالت لها: كيف وصلت إلى هنا؟

قالت: حوّلت من موطني لأغيره بأخر، وما يُضيرك مني؟

قالت: وطني لا يُنازعني فيه أحد.

فقالت لها: أترضين لأخت العيش بعيدة عنك؟. أم وجودي يسبب لكى المكروه؟

قالت: بعد أن تأوهت لا هذا ولا ذلك. فلكل منا وطن، أنت لم تولدي هنا ولا طبيعة حياتك تتلأم معه، أما أنا هو مولدي وكبرت فيه.

فردت رُحلتُ دون إرادتي، وسلبوا طبيعتي وحرיתי. وها أنا أنتصبُ أمامك أختاه.

شعرت بالحسرة والألم تعصران كيانها لإهانة أهلها وخلانها، لقد تُركت تندب حظها لتعيش غريبة في وطنها.

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

إنها الشايخة التي عشقها من عرف قيمتها، وألبسها تاج الوقار،
فشكت ما أصابها لذلك الجيل الذي بدأ يفل نجمه، ولسان حالهم
يرد ذهب العز والتبجيل.

أتوا بأختك لاقتلاعك من وطنك بدعوى قلة الإنتاج والحياة
تغيرت، أرادوا تحطيمك بل إعدامك دون محاكمة عادلة؟ - إنه
التفكير الأعرج والمنطق السقيم الذي لا وطن يبني ولا حضارة
يقيم، أه..... ستبقى هممتك العالية، وحديث البطالين لن يثنيك،
فالالتحاق بالأمم الراقية هو الحفاظ عليك.

تعسا لهم ولأفكارهم البائسة، انغمسوا في الانبطاح وجانبوا
الصواب إنهم الراكم. يتفاخرون وهم أذيال لقد باعوك في سوق
النخاسة بسبب رعونتهم وزعمهم. لكن هيهات لا تتألمي أو تجزعي
فتاجك لن يستطيعوا نزع أيتها المبجلة.

16- عُربَة

طُموحه كبير نشأ معه، وحلمه يُراوده ولا يخفى على أحد، كان مثابرا ينظر للأمام رغم الصعاب، يفكر بمنطق الكبار لا تثنيه العقبات بل يتحداها، خياله وأفقه لا حدود له، إرادته فولاذية ليعيش الهدف، والوصول الى الغاية المرجوة، هكذا يود تحقيق ما يصبوا إليه. في هذا العالم الواسع الفسيح، كل شيء أمامه يعتبره صغير مهما كُبر، وليس لديه في قاموسه كلمة "لا" بل الصعاب يذلها ويطوعها ويجعلها في متناوله، هذا هو شأنه وتفكيره يغوص في تاريخ الأباء والأجداد وهم يقدموا أرواحهم فداء للوطن في سبيل الحرية والعيش الكريم في ظلها وما ينعم به اليوم! مُصر وعازم على تحقيق تطلعاته مهما كلفه من تضحيات ومشاق.

جمع ما يحتاجه لسفره، ودع الجميع والدموع لا تفارقهم، وهم يُلوحون ويدعون له بالتوفيق والنجاح وقد تحقق حلمه.

ترك المجتمع الذي عاش وتربى فيه، وحل في آخر يسمع عنه فقط أنه بلد العلم والقانون والحرية والشهرة والمال.....؟.

اتصل بالجامعة التي كان موفدا لها، قدم وثائقه وجد كل الترحيب والتسهيلات وابتسامة مستقبلية فبادلهم الابتسامة والتحية، ثم قدم له مفتاح السكن وجدول الدراسة، ترجل ليأخذ قسطا من الراحة ليبدأ الجد والاجتهاد، بدأت الأفكار تتزاحم في رأسه وهو يطارد لها، لأنه يحتاج بعض الوقت ليُرتب أموره المادية والمعنوية.

عند الموعد المحدد للدراسة، كان موجودا بجوار زملائه في القاعة المخصصة لذلك دخل الدكتور المحاضر فحي الجميع ثم قدم محاضراته والطلبة يستمعون ويسجلون، وكالعادة عند لانتهاؤ يطرح الأسئلة ليعرف مدى استيعاب طلابه، لأن غالبيتهم يطرحوا الأسئلة أثناء المناقشة تدل على قلة فهمهم، بدأ الدكتور بالمناقشة والأسئلة وفي قرارة نفسه لن يتجاوبوا معه، لكن في هذه المرة تفاجأ بالإجابة من الطالب الوافد الجديد! تعجب الجميع وما زاد إعجابهم أنه طالب من وراء البحر؟ فمنهم من استاء وتنكر، وآخر استهزء، أما الأستاذ فدعاه إلى مكتبه - لأنه رأى فيه النبوغ والنباهة لم يعهدا من قبل - وطلب من أن يكون مساعدا له. وبعد فترة أصبح يشار إليه بالبنان، وتحصل على شهادة علمية جديدة في

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

اختصاص غير موجود مثيل لها في بلده! سُر كثيرا وأخذته الحنين للعودة إلى وطنه والمساهمة في بنائه، تناهى الخبر إلى مدير الجامعة فاستدعاه على الفور ليفاجئُه بأن نيل الشهادة الآن غير ممكن - إلا بعد تقديم عملا مفيد لنا! - أحس بغيرته تسري في في أوصل جسده والوحدة والوحشة دخلا عليه دون استئذان، وبدأ الحلم الذي رواده في التبخر، ولكنه بقي مصرا على ذلك.

انتهت المدة المطلوبة وهو يعايش غربة فكل ما قيل ذهب أدراج الرياح، فلا معنى للحرية والقانون والعلم ووووو..... ما تقدمه من خبرات وإنجازات وأعمال هو مبتغاهم؟.

عاد أدراجه على غير موعد مسبقا ويحمل معه معانات الغربة وما عايشه، فالمعاملة مصالح ولا تقترب منها ونافذة في كل الأحوال!.

جاء وكله إصرار ليتجاوز ما وقع له لأنه بين بني جلدته وفي موطن الأباء والأجداد. حمل وثائقه وشهاداته وطرق باب الإدارات، فشاهد بأم عينه وعاشه واقعا ما لم يتصوره في خياله ولا خطر على

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

باله! إهمال لا مبالاة تهميش وإزدراء بالعلم وأهله!..... لقد
صُدم، فتنبه على وقع نداء إستيقض.

الإثنين 16 / 05 / 2016

17- ورقة الألف دينار

كانت أشعة الشمس حارقة في عز الصيف، لما كنت في طابور أنتظر صرف جزء من معاشي، رامقت شابا ثلاثيني جاء دوره، ثم تنحى جانبا واتجه صوب المدخل الرئيسي عند شخص يجلس على مقعد بلاستيكي ويضع محفظة على فخديه، سلمه شيكا فعرفت من إشارة يديه طلبه، سلمه قطعة نقود ثم عاد إلى القابض ليتسلم ورقة الألف دينار، وعاد لصاحبه مرة ثانية لسلمها له ويأخذ مقابلها عدة قطع نقدية وانصرف لحاله.

جاء دوري وأخذت أوراقي النقدية واتجهت لأقرب محل لأقضي بعض شؤوني، فلمحت ذاك الشاب يهيم بالخروج ويضع ما اشتراه في كيس ضفاف (علبة حليب وحفاظة أطفال) فسألت نسي كيف يقضي بقية يومه؟.

وهران أوت 2016

الفهرس

- الإهداء..... 5
- 1- سيد الغابنة..... 7
- 2- موسم الحصاد..... 9
- 3- كوندي..... 16
- 4- العاقبة..... 35
- 5- غسان..... 45
- 6- صاحبي..... 52
- 7- الفستان الأبيض..... 57
- 8- الفلاح المجاهد..... 58
- 9- الحلبي..... 63
- 10- مريم..... 65
- 11- رضوان والمغبونة..... 67
- 12- مآسي وظلم..... 70
- 13- الزواج الميت..... 73
- 14- المبتورة..... 81

موسم الحصاد-----مصطفى ضو

15- صاحبة التاج.....82

16- عُربة.....84

17- ورقة الألف دينار.....88

الفهرس.....89